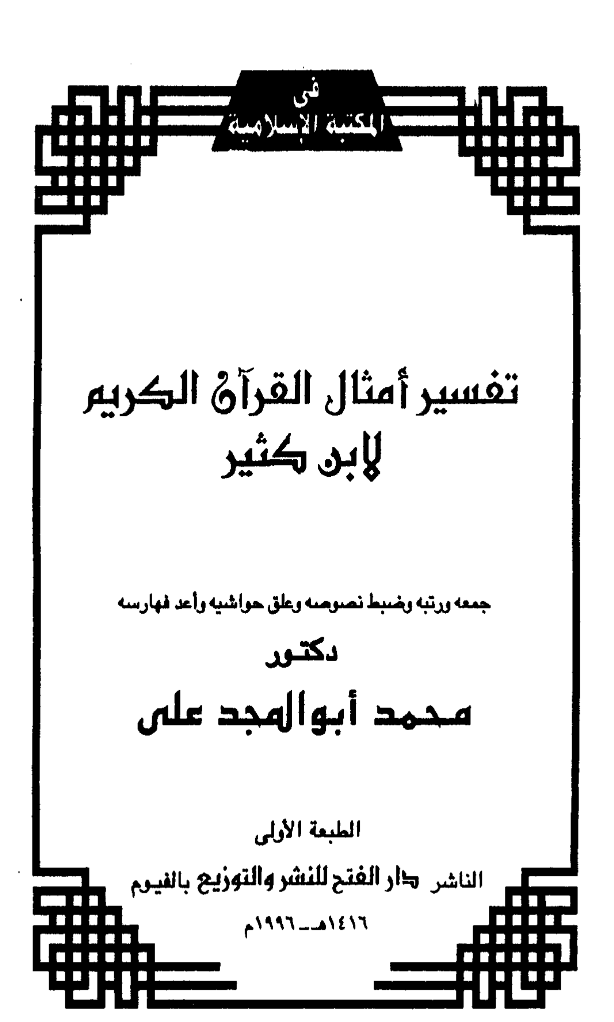


فى
المكتبة الإسلامية

تفسير أمثال القرآن الكريم لابن كثير

جمعه ورتبه وضبط نصوصه وعلق حواشيه وأعد فهارسه
دكتور
محمد أبوالمجد على

الطبعة الأولى
الناشر دار الفتح للنشر والتوزيع بالفيوم
١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

رقم الإيداع
٩٥/١٠٦٠٦
I.S.B.N. 977 - 5690 - 03 - X

الجمع التصويرى والإخراج الفنى :

دار الشروق للطبع والنشر والتوزيع بالفيوم

تفسير أمثال القرآن الكريم

تفسير أمثال القرآن الكريم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبى الفداء
إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى

الإهـداء

إليـه ....

عالماً .. وأستاذاً .. وقدوة

إلى شيخى ..

فخر الدين ، وبحر العلم ، ومشكاة الأخلاق ؛

ابن كثير ـ صاحب هذا التفسير ـ يرحمه الله .

تقديراً .. وإجلالاً .. وحباً .

* * *

قال بعض السلف : إذا سمعتُ المثل فى القرآن فلم أفهمه بكيتُ على نفسى ؛ لأن الله قال : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العَالِمُونَ ﴾ .

تقدير الكلام مثل قصتهم كقصة الذين استوقدوا ناراً . وقال بعضهم : المستوقد واحد لجماعة معه . وقال آخرون : "الذى" ههنا بمعنى "الذين" كما قال الشاعر :

«وَإِنَّ الَّذِى حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ
هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ»(١).

قلت وقد التفت فى أثناء المثل من الواحد إلى الجمع فى قوله تعالى : (فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمى فهم لا يرجعون) . وهذا أفصح فى الكلام وأبلغ فى النظام .

وقوله تعالى : **(ذهب الله بنورهم)** أى ذهب عنهم به ا ينفعهم وهو النور ، وأبقى لهم ما يضرهم وهو الإحراق والدخان . **(وتركهم فى ظلمات)** وهو ما هم فيه من الشك والكفر والنفاق . **(لا يبصرون)** لا يهتدون إلى سبيل خير ولا يعرفونها . وهم مع ذلك **(صم)** لا يسمعون خيراً . **(بكم)** لا يتكلمون بما ينفعهم . **(عمى)** فى ضلالة وعماية البصيرة . كما قال تعالى : (فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ)(٢) . فلهذا لا يرجعون إلى ما كانوا عليه من الهداية التى باعوها بالضلالة .

---

١ - للأشهب بن رُمَيْلَة . وهو من شواهد النحاة على ما حُذف منه النون تخفيفًا . والأصل « إن الذين .... » بدليل قوله بعدها " دماؤهم " . وقد جاء فى أكثر المصادر « وإن الذى ... » بزيادة واو فى أوله .

٢ - الحج من الآية ٤٦ .

﴿ ذكر أقوال المفسرين من السلف بنحو ما ذكرناه ﴾

قال السُّدِّيُّ في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى **(فلما أضاءت ما حوله)** زعم أن ناساً دخلوا في الإسلام مَقْدِمَ نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ثم إنهم نافقوا وكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة فأوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله من قذى أو أذى فأبصره حتى عرف ما يَتَّقي منه ، فبينما هو كذلك إذ طَفِئَتْ ناره ، فأقبل لا يدري ما يتقي من أذى ، فذلك المنافق كان في ظلمة الشرك ، فأسلم فعرف الحلال والحرام والخير والشر ، فبينما هو كذلك إذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من الشر .

وقال العوفيُّ عن ابن عباس في هذه الآية قال : أما النُّور ، فهو إيمانهم الذي كانوا يتكلمون به ، وأما الظُّلمة فهي ضلالتهم وكفرهم الذي كانوا يتكلمون به . وهم قوم كانوا على هدى ، ثم نُزِع منهم ، فَعَتَوْا بعد ذلك .

وقال مجاهد : (فلما أضاءت ما حوله) أما إضاءة النار فإقبالهم إلى المؤمنين والهدى . وقال عطاء الخراساني في قوله تعالى **(مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً)** قال هذا مثل المنافق يبصر أحياناً ويعرف أحياناً ثم يدركه عمى القلب . وقال ابن أبي حاتم وروى

عكرمة والحسن والسُّدِّيُّ والربيع بن أنس نحو قول عطاء الخراساني . وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) إلى آخر الآية . قال هذه صفة المنافقين ؛كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ناراً ، ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزعه كما ذهب بضوء هذه النار فتركهم في ظلمات لا يبصرون .

وأما قول ابن جرير فيشبه ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) قال : هذا مثل ضربه الله للمنافقين ؛ أنهم كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء ، فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحبَ النار ضوءه .

وقال أبوجعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) فإنما ضوء النار ما أوقدتها فإذا خمدت ذهب نورها ، وكذلك المنافق كلما تكلم بكلمة الإخلاص ؛ بلا إله إلا الله ، أضاء له . فإذا شك وقع في الظلمة .

وقال الضحاك : (ذهب الله بنورهم) أما نورهم فهو إيمانهم الذي تكلموا به . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله) فهي لا إله إلا الله أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا وأمنوا في الدنيا وأنكحوا النساء وحقنوا

دماءهم ، حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون . وقال سعيد عن قتادة فى هذه الآية : إن المعنى أن المنافق تكلم بلا إله إلا الله ، فأضاءت له فى الدنيا ، فناكح بها المسلمين ، وغازاهم بها ، ووارثهم بها ، وحقن بها دمه وماله . فلما كان عند الموت سُلِبَهَا المنافق ؛ لأنه لم يكن لها أصل فى قلبه ولا حقيقة فى عمله (وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) . قال علىُّ بن أبى طلحة عن ابن عباس (وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) يقول فى عذاب إذا ماتوا . وقال محمد بن إسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد ابن جبير عن ابن عباس (وتركهم فى ظلمات) أى يبصرون الحق ويقولون به حتى إذا خرجوا من ظلمة الكفر أطفأوه بكفرهم ونفاقهم فيه فتركهم فى ظلمات الكفر ، فهم لا يبصرون هدى ، ولا يستقيمون على حق . وقال السُّدِّىُّ فى تفسيره بسنده (وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) فكانت الظلمة نفاقهم . وقال الحسن البصرى : وتركهم فى ظلمات لا يبصرون فذلك حين يموت المنافق فيظلم عليه عمله ؛ عمل السوء ، فلا يجد له عملاً من خيرٍ عمل به يصدق به قول لا إله إلا الله .

(صم بكم عمى) قال السُّدِّىُّ بسنده صم بكم عمى فهم خرس عمى . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (صم بكم عمى) يقول لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يعقلونه . وكذا قال

أبوالعالية وقتادة بن دعامة .

(فهم لا يرجعون) قال ابن عباس : أى لا يرجعون إلى هدى . وكذا قال الربيع بن أنس . وقال السُّدِّىُّ بسنده (صم بكم عمى فهم لا يرجعون) إلى الإسلام . وقال قتادة : فهم لا يرجعون أى لا يتوبون ، ولا هم يَذَّكَّرُون .

[ضرب آخر من المنافقين]

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

البقرة ١٩ ، ٢٠ .

هذا مثل آخر ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين ؛ وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ، ويشكون تارة أخرى . فقلوبهم فى حال شكهم وكفرهم وترددهم **(كصيب)**. والصَّيِّبُ : المطر ، قاله ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة وأبو العالية ومجاهد وسعيد ابن جبير وعطاء والحسن البصرى وقتادة وعطية العوفى وعطاء الخراسانى والسُّدِّىُّ والربيع بن أنس .

وقال الضحاك : هو السحاب . والأشهر هو المطر نزل من السماء فى حال ظلمات وهى الشكوك والكفر والنفاق . **(ورعد)** وهو ما يزعج القلوب من الخوف ؛ فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والفزع ؛ كما قال تعالى (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ)(١) . وقال

١ ـ المنافقون من الآية ٤ .

(وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ)(١) .

والـ **(برق)** هو ما يلمع فى قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين فى بعض الأحيان من نور الإيمان . ولهذا قال **(يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين)** أى ولا يجدى عنهم حذرهم شيئاً ؛ لأن الله محيط بقدرته ، وهم تحت مشيئته وإرادته كما قال : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ)(٢) بهم .

ثم قال : **(يكاد البرق يخطف أبصارهم)** . أى لشدته وقوته فى نفسه وضعف بصائرهم وعدم ثباتها للإيمان . وقال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس (يكاد البرق يخطف أبصارهم) يقول يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين . وقال ابن إسحق حدثنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (يكاد البرق يخطف أبصارهم) أى لشدة ضوء الحق (كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا) أى كلما ظهر لهم من الإيمان شىء استأنسوا به واتبعوه ، وتارة تعرض(٣) لهم الشكوك ،

---

١ - التوبة ٥٦ ، ٥٧ .

٢ - البروج ١٧ : ٢٠ .

٣ - تعرض : تظهر .

أظلمت قلوبهم فوقفوا حائرين . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (كلما أضاء لهم مشوا فيه) يقول كلما أصاب المنافقين من عز الإسلام اطمأنوا إليه ، وإذا أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر كقوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ)(١) . وقال محمد بن إسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا) أى يعرفون الحق ويتكلمون به ، فهم من قولهم به على استقامة ، فإذا ارْتَكَسُوا(٢) منه إلى الكفر قاموا ؛ أى متحيرين ، وهكذا قال أبوالعالية والحسن البصرى وقتادة والربيع بن أنس والسُّدِّىُّ بسنده عن الصحابة . وهو أصح وأظهر والله أعلم.

وهكذا يكونون يوم القيامة عندما يُعطى الناس النور بحسب إيمانهم ؛ فمنهم من يُعطى من النور ما يضىء له مسيرة فراسخ وأكثر من ذلك وأقل من ذلك ، ومنهم من يطفأ نوره تارة ويضىء تارة أخرى ومنهم من يمشى على الصراط تارة ويقف أخرى ، ومنهم من يطفأ نوره بالكلية وهم الخُلَّصُ من المنافقين الذين قال تعالى فيهم : (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا)(٣) . وقال فى حق المؤمنين :

---

١ ـ الحج من الآية ١١ .

٢ ـ ارتكسوا : انتكسوا وعادوا .

٣ ـ الحديد من الآية ١٣ .

(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ).... الآية[1] . وقال تعالى : (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[2] .

... فإذا تقرر هذا صار الناس أقسامًا ؛ مؤمنون خُلَّص وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة[3] ، وكفار خُلَّص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها[4] ، ومنافقون وهم قسمان : خُلَّص وهم المضرب لهم المثل الناري[5] ، ومنافقون يترددون ؛ تارة يظهر لهم لمع الإيمان وتارة يخبو وهم أصحاب المثل المائي[6]، وهم أخف حالاً من الذين قبلهم.

وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه ما ذكر في سورة النور من ضرب مثل المؤمن وما جعل الله في قلبه من الهدى والنور بالمصباح في الزجاجة التي كأنها كوكب دري ؛ وهي قلب المؤمن المفطور على الإيمان واستمداده من الشريعة الخالصة الصافية الواصلة إليه من غير كدر ولا تخليط كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء الله[7] .

---

١ - الحديد ١٢ .
٢ - التحريم من الآية ٨ .
٣ - الآيات ٢ : ٥ .
٤ - الآيات ٦ ، ٧ .
٥ - البقرة ١٧ ، ١٨ .
٦ - البقرة ١٩ ، ٢٠ .
٧ - ص ١١١ وما بعدها .

ثم ضرب مثل العباد من الكفار الذين يعتقدون أنهم على شيء وليسوا على شيء ؛ وهم أصحاب الجهل المركب فيقول تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) .... الآية[1] . ثم ضرب مثل الكفار أصحاب الجهل البسيط ؛ وهم الذين قال تعالى فيهم (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)[2] . فقسم الكفار ههنا إلى قسمين ؛ داعية ، ومقلد . كما ذكرهما في أول سورة الحج : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ)[3] . وقال : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ)[4] . وقد قسم الله المؤمنين في أول الواقعة وفي آخرها وفي سورة الإنسان إلى قسمين ؛ سابقون وهم المقربون ، وأصحاب يمين وهم الأبرار ، فتخلص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين صنفان ؛ مقربون ، وأبرار ، وأن الكافرين صنفان ؛ دعاة ومقلدون . وأن المنافقين أيضًا صنفان ؛ منافق خالص ومنافق فيه شعبة من نفاق كما جاء في الصحيحين عن

---

١ ـ النور ٣٩ .

٢ ـ النور ٤٠ .

٣ ـ الآية رقم ٣ .

٤ ـ الآية رقم ٨ .

عبدالله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كان مُنَافِقًا خَالِصًا ، ومَنْ كانتْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ كانتْ فِيهِ خصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا ؛ مَنْ إذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ » .

.... وقوله تعالى : (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير) . قال محمد بن إسحق حدثنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) قال : لمَا تركوا من الحق بعد معرفته . (إن الله على كل شيء قدير) قال ابن عباس أى إن الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير . وقال ابن جرير : إنما وصف الله تعالى نفسه بالقدرة على كل شيء فى هذا الموضع ؛ لأنه حذَّر المنافقين بأسه وسطوته ، وأخبرهم أنه بهم محيط ، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير . معنى قدير : قادر ؛ كما معنى عليم عالم .

وذهب ابن جرير ومن تبعه من كثير من المفسرين إلى أن هذين المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين ؛ وتكون "أو" فى قوله تعالى (أو كصيب من السماء) بمعنى الواو ؛ كقوله تعالى : (وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا)(١) . أو تكون للتخيير ؛ أى اضرب لهم مثلاً

---

١ - الإنسان من الآية ٢٤ .

بهذا، وإن شئت بهذا . قال القرطبي : "أو" للتساوي ؛ مثل جَالِسْ الحسنَ أو ابن سيرين ، على ما وجهه الزمخشريُّ أن كلا منهما مساوٍ للآخر في إباحة الجلوس إليه . ويكون معناه على قوله : سواء ضربت لهم مثلاً بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم .

(قلت) : وهذا يكون باعتبار جنس المنافقين ، فإنهم أصناف ، ولهم أحوال وصفات ، كما ذكرها الله تعالى في سورة براءة (ومنهم .... ومنهم .... ومنهم) . يذكر أحوالهم وصفاتهم وما يعتقدونه من الأفعال والأقوال . فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشد مطابقة لأحوالهم وصفاتهم والله أعلم .

كما ضرب المثلين في سورة النور لصنفي الكفار الدعاة والمقلدين في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ) إلى أن قال : (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ) .... الآية[1] . فالأول : الدعاة الذين هم في جهل مركب ، والثاني : لذوي الجهل البسيط من الأتباع المقلدين . والله أعلم بالصواب .

***

(1) الآيتان : ٣٩ ، ٤٠ .

[المستهزئون بما ضرب الله في القرآن من أمثال]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

البقرة ٢٦ .

قال السُّدِّيُّ في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين ؛ يعني قوله تعالى **(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا)** وقوله **(أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ)** الآيات الثلاث[1] ـ قال المنافقون : الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال . فأنزل الله هذه الآية إلى قوله تعالى **(هم الخاسرون)** .

وقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة : لما ذكر الله تعالى العنكبوت والذباب قال المشركون : ما بال العنكبوت والذباب يُذكران؟! فأنزل الله : **(إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضةً فما فوقها)** . وقال سعيد عن قتادة : أي أن الله لا يستحي من

---

١ ـ البقرة ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ .

الحق أن يذكر شيئًا مما قل أو كثر ، وإن الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة ما أراد الله من ذكر هذا؟ فأنزل الله : (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها) .

(قلت) : العبارة الأولى عن قتادة فيها إشعار أن هذه الآية مكية ، وليس كذلك . وعبارة رواية سعيد عن قتادة أقرب والله أعلم . روى ابن جريج عن مجاهد نحو هذا الثاني عن قتادة . وقال ابن أبي حاتم روي الحسن وإسماعيل بن أبي خالد نحو قول السُّدِّيُّ وقتادة .

وقال أبوجعفر الرازي عن الربيع بن أنس في هذه الآية قال : هذا مثل ضربه الله للدنيا ؛ أن البعوضة تحيا ما جاعت فإذا سَمِنَتْ ماتت . وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب لهم هذا المثل في القرآن إذا امتلأوا من الدنيا رَيًّا أخذهم الله عند ذلك . ثم تلا : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيءٍ)[1] . هكذا رواه ابن جرير . ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية بنحوه . فالله أعلم .

فهذا اختلافهم في سبب النزول . وقد اختار ابن جرير ما حكاه السُّدِّيُّ لأنه أَمَسُّ بالسورة ، وهو مناسب . ومعنى الآية أنه تعالى أخبر أنه لا يستحي أي لا يستنكف ، وقيل لا يخشى أن يضرب مثلاً أيَّ مثل كان بأيِّ شيء كان صغيرًا أو كبيرًا . و "ما" ههنا للتقليل ،

---

١ ـ الأنعام من الآية ٤٤ .

وتكون "بعوضة" منصوبة على البدل ، كما تقول لأضربن ضربًا ما فيصدق بأدنى شيء . أو تكون "ما" نكرة موصوفة ببعوضة . واختار ابن جرير أن "ما" "موصولة . و "بعوضة" معربة بإعرابها . قال : وذلك سائغ فى كلام العرب؛ أنهم يُعربون صلة "ما" و "من" بإعرابهما؛ لأنهما يكونان معرفة تارة ونكرة أخرى ، كما قال حسان بن ثابت :

« يَكْفِي بِنَا فَضْلاً عَلَى مَنْ غيرنَا   حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا »[1] .

قال : ويجوز أن تكون "بعوضة" منصوبة بحذف الجار . وتقدير الكلام : إن الله لا يستحى أن يضرب مثلاً ما بعوضة إلى ما فوقها . وهذا الذى اختاره الكسائى والفراء . وقرأ الضحاك وإبراهيم بن عبلة "بعوضة" بالرفع . قال ابن جنى : وتكون صلة لـ "ما" وحذف العائد ، كما فى قوله : (تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ)[2] . أى على الذى هو أحسن . وحكى سيبويه : ما أنا بالذى قائل لك شيئًا ؛ أى بالذى هو قائل لك شيئًا .

وقوله تعالى : **(فما فوقها)** فيه قولان ؛ أحدهما : فما دونها فى الصغر والحقارة ، كما إذا وُصف رجل باللؤم والشح فيقول السامع نعم وهو فوق ذلك - يعنى فيما وصفت - وهذا قول الكسائى وأبى عبيد . قاله الرازى وأكثر المحققين . وفى الحديث : « لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بعُوضةٍ لَمَا سَقَى كافرًا منْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ » .

---

١ - لم أجده فى ديوانه ، ولعله لغيره من شعراء الصدر .

٢ - الأنعام من الآية ١٥٤ .

والثاني : فما فوقها لما هو أكبر منها ؛ لأنه ليس شيء أحقر ولا أصغر من البعوضة . وهذا قول قتادة بن دعامة واختيار ابن جرير ؛ فإنه يؤيده ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَا مِنْ مُسلمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَما فَوقَهَا إلاَّ كُتِبَ لَهُ بِهَا درجَةٌ وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ » . فأخبر أنه لا يستصغر شيئاً يضرب به مثلاً ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة ، كما لا يستنكف عن خلقها كذلك لا يستنكف من ضرب المثل بها ، كما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت في قوله : (يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ)[1] . وقال : (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[2] . وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ)[3] . وقال تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً

---

١ - الحج ٧٣ .
٢ - العنكبوت ٤١ .
٣ - إبراهيم ٢٤ : ٢٧ .

عَبْدًا مَمْلُوكًا لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيءٍ)..... الآية[1] . ثم قال : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) ؟.... الآية[2] . كما قال (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ).... الآية[3] . وقال : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ).... الآية[4] . وقال : (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العَالِمُونَ)[5] .

وفى القرآن أمثال كثيرة . قال بعض السلف : إذا سمعتُ المثل فى القرآن فلم أفهمه بكيتُ على نفسى لأن الله قال : (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العَالِمُونَ) . وقال مجاهد فى قوله تعالى : (إن الله لا يستحى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها) الأمثال صغيرها وكبيرها يؤمن بها المؤمنون ويعلمون أنه الحق من ربهم ويهديهم الله بها . وقال قتادة (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم) أى يعلمون أنه كلام الرحمن وأنه من عند الله . ورُوى عن مجاهد والحسن والربيع بن أنس نحو ذلك . وقال أبو العالية

---

١ - النحل ٧٥ .

٢ - النحل ٧٦ .

٣ - الروم ٢٨ .

٤ - الزمر ٢٩ .

٥ - العنكبوت ٤٣ .

(فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم) يعنى هذا المثل .

(وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا) كما قال فى سورة المدثر[1] : (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا * وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً * كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ) . وكذلك قال ههنا : (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين) .

قال السُّدِّىُّ فى تفسيره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : يُضل به كثيرًا يعنى به المنافقين ، ويهدى به كثيراً يعنى به المؤمنين ؛ فيزيد هؤلاء ضلالة إلى ضلالتهم لتكذيبهم بما قد علموه حقًا يقينًا من المثل الذى ضربه الله بما ضرب لهم وأنه لِمَا ضُرِبَ له موافقٌ فذلك إضلال الله إياهم به . ويهدى به - يعنى المثل - كثيرًا من أهل الإيمان والتصديق ؛ فيزيدهم هدى إلى هداهم ، وإيمانًا إلى إيمانهم لتصديقهم بما قد علموه حقًا يقينًا أنه موافق لما ضرب الله له مثلاً وإقرارهم به ؛ وذلك هداية من الله لهم به .

(وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الفَاسِقِينَ) قال : هم المنافقون . وقال أبوالعالية

---

١ - من الآية ٣١ .

(وما يضل به إلا الفاسقين) قال أهل النفاق .وكذا قال الربيع بن أنس . وقال ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس (وما يضل به إلا الفاسقين) قال يقول يعرفه الكافرون فيكفرون به . وقال قتادة (وما يضل به إلا الفاسقين) فسقوا فأضلهم الله على فسقهم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى عن إسحق بن سليمان عن أبى سنان عن عمرو ابن مرة عن مصعب بن سعد عن سعد(يضل به كثيرًا) يعنى الخوارج.

وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد قال سألت أبى فقلت قوله تعالى (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) إلى آخر الآية . فقال هم الحَرُوْرِيَّةُ . وهذا الإسناد وإن صح عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فهو تفسير على المعنى ، لا أن الآية أُريد منها التنصيص على الخوارج الذين خرجوا على علىٍّ بالنهروان ؛ فإن أولئك لم يكونوا حال نزول الآية ، وإنما هم داخلون بوصفهم فيها مع من دخل ؛ لأنهم سُمُّوا خوارج لخروجهم عن طاعة الإمام ، والقيام بشرائع الإسلام ، والفاسق فى اللغة هو الخارج عن الطاعة أيضًا ، وتقول العرب فسقت الرُّطَبَةُ إذا خرجت من قشرتها ، ولهذا يقال للفأرة فُوَيْسِقَة لخروجها من جحرها للفساد . وثبت فى الصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خَمْسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فى الحلِّ والحَرَم ؛ الغُرَابُ والحِدْأةُ والعَقْرَبُ والفَأْرَةُ والكَلْبُ العَقُورُ » . فالفاسق يشمل الكافر والعاصى ، ولكنَّ فِسْقَ الكافر أشد وأفحش . والمراد به من الآية الفاسق الكافر والله

أعلم ؛ بدليل أنه وصفهم بقوله تعالى (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون) وهذه الصفات صفات الكفار المباينة لصفات المؤمنين ، كما قال تعالى فى سورة الرعد : (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوْفُوْنَ بِعَهْدِ اللهِ وَلاَ يَنْقُضُونَ المِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوْصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ).... الآيات إلى أن قال : (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوْصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُم اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)(١).

---

١ ـ الآيات ١٩ : ٢٥ .

[الكافر فيما هو فيه من الغى والضلال]

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا
لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٧١)

البقرة ١٧١ .

(ومثل الذين كفروا) أى فيما هم فيه من الغىِّ والضلال والجهل كالدواب السارحة التى لا تفقه ما يقال لها . بل إذا نَعِقَ بِهَا رَاعِيهَا ؛ أى دعاها إلى ما يرشدها ، لا تفقه ما يقول ولا تفهمه ، بل إنما تسمع صوته فقط ، هكذا رُوى عن ابن عباس وأبى العالية ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة وعطاء الخراسانى والربيع بن أنس نحو هذا .

وقيل إنما هذا مثل ضُرب لهم فى دعائهم الأصنام التى لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئًا .

* قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) - وهى الآية السابقة على هذه الآية - : « روى ابن إسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أنها نزلت فى طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فقالوا بل نَتَّبع ما ألفنيا عليه آباءنا . فأنزل الله هذه الآية ، ثم ضرب لهم تعالى مثلاً كما قال تعالى : (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ) فقال : (ومثل الذين كفروا) ... » .

اختاره ابن جرير . والأول أولى ؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئًا ولا تعقله ولا تبصره ، ولا بطش لها ولا حياة فيها .

وقوله : **(صم بكم عمى)** . أى صم عن سماع الحق ، بكم لا يتفوهون به ، عمى عن رؤية طريقه ومسلكه . **(فهم لا يعقلون)** أى لا يعقلون شيئًا ولا يفهمونه . كما قال تعالى : (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[1] .

---

١ ـ الأنعام ٣٩ .

[الذين كفروا أعمالهم كرماد]

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾

إبراهيم ١٨ .

هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا معه غيره وكذبوا رسله وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح ، فانهارت وعدموها أحْوَجَ ما كانوا إليها . فقال تعالى : **(مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم)** أى مثل أعمالهم يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من الله تعالى ؛ لأنهم كانوا يحسبون أنهم كانوا على شيء فلم يجدوا شيئًا ، ولا ألفوا حاصلاً إلا كما يتحصل من الرماد إذا اشتدت به الريح العاصفة . **(فى يوم عاصف)** أى ذى ريح شديدة عاصفة قوية . فلم يقدروا على شيء من أعمالهم التى كسبوا فى الدنيا إلا كما يقدرون على جمع هذا الرماد فى هذا اليوم . كقوله تعالى : (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا)(١) . وقوله تعالى : (مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِى هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ

---

١ ـ الفرقان ٢٣ .

يَظْلِمُونَ)[1] . وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِى يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ واليَوم الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِمَّا كَسَبُوا واللَّهُ لاَ يَهْدِى القَوْمَ الكَافِرِينَ)[2] .

وقوله فى هذه الآية **(ذلك هو الضلال البعيد)** أى سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم أحوج ما كانوا إليه **(ذلك هو الضلال البعيد)** .

---

١ ـ آل عمران ١١٧ .

٢ ـ البقرة ٢٦٤ .

[القرية التى كفرت بانعم الله]

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾

النحل ١١٢ .

هذا مثل أُريد به أهل مكة ؛ فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة ، يُتخطف الناس من حولها ، ومَنْ دخلها كان آمنًا لا يخاف كما قال تعالى : (وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا)(١) ؟ وهكذا قال ههنا (**يأتيها رزقها رغدا**) أى هنيئًا سهلاً . (**من كل مكان فكفرت بأنعم الله**) أى جحدت آلاء الله عليها ، وأعظمها بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ)(٢) . ولهذا بَدّلهم الله بحاليهم الأولين خلافهما فقال : (**فأذاقها الله لباس الجوع والخوف**) أى ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يُجبى إليهم ثمرات كل شىء ويأتيها رزقها رغدًا من كل مكان . وذلك أنهم استعصوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

١ ـ القصص من الآية ٥٧ .
٢ ـ إبراهيم ٢٨ ، ٢٩ .

وأبوا إلا خلافه ، فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف ، فأصابتهم سنةٌ أذهبت كل شيء لهم ، فأكلوا العلهز وهو وبر البعير يُخلط بدمه إذا نحروه .

وقوله : (والخوف) وذلك أنهم بُدِّلوا بأمنهم خوفًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين هاجر إلى المدينة ، من سطوته وسراياه وجيوشه ، وجعل كل ما لهم فى دمار وسفال حتى فتحها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك بسبب صنيعهم وبغيهم وتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم الذى بعثه الله فيهم منهم ، وامتنَّ به عليهم فى قوله : (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ) ... الآية[1] وقوله تعالى : (فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِى الأَلْبَابِ * الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولاً).... الآية[2] . وقوله : (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) إلى قوله : (وَلاَ تَكْفُرُونِ)[3] .

وكما أنه انعكس على الكافرين حالهم ؛ فخافوا بعد الأمن وجاعوا بعد الرغد ، فَبَدَّلَ الله المؤمنين من بعد خوفهم أمنًا ، ورزقهم بعد العَيْلَةِ[4] ، وجعلهم أمراء الناس وحكامهم وسادتهم وقادتهم وأئمتهم .

---

١ - آل عمران ١٦٤ .
٢ - الطلاق من الآية ١٠ والآية ١١ .
٣ - البقرة ١٥١ ، ١٥٢ .
٤ - العَيْلَة : الفقر والحاجة .

وهذا الذى قلناه من أن هذا المثل ضُـــرِبَ لأهل مكة ، قــاله العوفىُّ عن ابن عباس . وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، وحكاه مالك عن الزهرىِّ رحمهم الله .

وقال ابن جرير : حدثنى ابن عبدالرحيم البرقى حدثنا ابن أبى مريم حدثنا نافع بن زيد حدثنا عبدالرحمن بن شريح أن عبدالكريم ابن الحارث الحضرمىَّ حَدَّثه أنه سمع مشرح بن هاعان يقول سمعتُ سليم بن نمير يقول صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وعثمان رضى الله عنه محصورٌ بالمدينة ، فكانت تسأل عنه : ما فعل ؟ حتى رأت راكبين فأرسلت إليهما تسألهما ، فقالا : قُتل . فقالت حفصة : والذى نفسى بيده إنها القرية - تعنى المدينة - التى قال الله تعالى [فيها][1] : (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله). قال ابن شريح وأخبرنى عبيد الله بن المغيرة عمن حدثه أنه كان يقول: إنها المدينة[2] .

---

١ - زيادة لم ترد فى الأصل .

٢ - وكونها مكة - كما ذهب إليه كثير من الصحابة والتابعين - أولى . ويؤيده من بعض الوجوه أن مقتل عثمان رضى الله عنه كان بعد نزول الآية - كما لا يخفى - بزمن طويل . وهذا يشبه اختلافهم فى الرجل المشار إليه فى الآية ١٧٥ من سورة الأعراف ، وقد قيل - فيما قيل - إنه أمية بن أبى الصلت . وقال ابن كثير فى صدده : « ... وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبى الصلت يشبهه » لا أنه هو . وكذلك المدينة ؛ فلعلها حسب هذا الرأى الذى نزعمه قد أشبهت مكة - إن كانت هى المقصودة - أو غيرها من القرى فى أحداث الفتنة الكبرى التى أطيح فيها بعثمان رضى الله عنه . وإن كنا لا نجزم بهذا لأن عبارة حفصة رضى الله عنها صريحة فى كونها هى ، لا أنها تشبهها ، وقد استبيحت المدينة عدة أيام فى عهد بنى أمية وبالتحديد فى أيام الحرة التى شهدت صراعهم ضد الزبيريين . فالله أعلم بالمراد .

[نوعان من الكفار : ذوو الجهل المركب وذوو الجهل البسيط]

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (٤٠)﴾

النور ٣٩ ، ٤٠ .

هذان مثلان ضربهما الله تعالى لِنَوْعَى الكفار . كما ضرب للمنافقين فى أول سورة البقرة مثلين ؛ ناريًا ومائيًا ، وكما ضرب لما يقرُّ فى القلوب من الهدى والعلم فى سورة الرعد مثلين ناريًا ومائيًا . وقد تكلمنا على كل منهما فى موضعه[1]. .... ولله الحمد والمنة .

فأما الأول من هذين المثلين فهو للكفَّار الدُّعاة إلى كفرهم الذين يحسبون أنهم على شىء من الأعمال والاعتقادات ، وليسوا فى نفس الأمر على شىء ، فمثلهم فى ذلك كالسراب الذى يُرى فى القيعان

١ - ص ٣ : ١٦ ، ٩٧ : ١٠١ .

من الأرض من بُعد كأنه بحر طام . والقِيعة جمع قاع ، كجار وجيرة . والقاع أيضًا واحد القيعان ؛ كما يقال جار وجيران ، وهى الأرض المستوية المتسعة المنبسطة وفيه يكون السراب ، وإنما يكون ذلك بعد نصف النهار ، وأما الآل فإنما يكون أول النهار يُرى كأنه ماء بين السماء والأرض ، فإذا رَأى السراب من هو محتاجٌ إلى الماء يحسبه ماءً قصده ليشرب منه ، فلما انتهى إليه **(لم يجده شيئًا)** فكذلك الكافر يَحْسَبُ أنه قد عمل عملاً وأنه قد حصّل شيئًا ، فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها ونوقش على أفعاله لم يجد له شيئًا بالكلية قد قُبل ؛ إما لعدم الإخلاص ، أو لعدم سلوك الشرع . كما قال تعالى : (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا)[1] . وقال ههنا : **(ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب)** . وهكذا رُوى عن أبىّ بن كعب وابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد .

وفى الصحيحين أنه يُقال يومَ القيامَةِ لليهود : ما كنْتُم تَعْبُدون؟ فيقولون كُنَّا نَعْبُدُ عُزَير بن الله . فيقالُ : كذبتم ما اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ . ماذا تبغُونَ؟ فيقولونَ : يَارَبُّ عَطِشْنَا فَاسْقِنَا . فَيُقَالُ : ألا ترون؟ فتمثلُ لَهُمُ النَّار كأنَّهَا سرابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَنْطَلِقُونَ فَيَتَهَافَتُونَ فيهَا) .

---

١ ـ الفرقان ٢٣ .

وهذا المثال مثال لذوى الجهل المركب . فأما أصحاب الجهل البسيط وهم الطماطم الأغشام المُقلِّدُونَ لأئمة الكفر الصمُّ البُكْم الذين لا يعقلون فمثلهم كما قال تعالى : (أو كظلمات فى بحر لجى) . قال قتادة : (لُجىّ) هو العميق . (يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها) . أى لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذى لا يعرف حال من يقوده ولا يدرى أين يذهب . بل كما يقال فى المثل للجاهل : أين تذهب؟ قال معهم . قيل : فإلى أين يذهبون؟ قال لا أدرى .

وقال العوفىُّ عن ابن عباس رضى الله عنهما (يغشاه موج)..... الآية . يعنى بذلك الغشاوة التى على القلب والسمع والبصر . وهى كقوله : (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ).... الآية[1] . وكقوله : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً).... الآية[2] .

وقال أُبىّ بن كعب فى قوله تعالى (ظلمات بعضها فوق بعض) فهو يتقلب فى خمسة من الظلم ؛ فكلامه ظُلْمَةٌ ، وعَمَلُهُ ظُلْمَةٌ ، ومَدْخَلُهُ ظُلْمَةٌ ، ومَخْرَجُهُ ظُلْمَةٌ ، ومصيرُهُ يومَ القيامة إلى الظُّلُماتِ ؛ إلى النارِ . وقال السُّدِّىُّ والربيع بن أنس نحو ذلك أيضًا .

---

١ ـ البقرة ٧ .

٢ ـ الجاثية ٢٣ .

وقوله تعالى : (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) أى من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر كقوله : (مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ)[1] . وهذا فى مقابلة ما قال فى مثل المؤمنين : (يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يشَاءُ)[2] . فنسأل الله العظيم أن يجعل فى قلوبنا نوراً ، وعن أيماننا نوراً ، وعن شمائلنا نوراً ، وأن يُعظم لنا نُوراً .

---

١ ـ الأعراف من الآية ١٨٦ .

٢ ـ النور من الآية ٣٥ .

[مثل ما ينفق الكفار فى هذه الدار]

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾

آل عمران ١١٦ ، ١١٧ .

.... قال تعالى مخبرًا عن الكفرة المشركين بأنه **(لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئًا)** . أى لا ترد عنهم بأس الله ولا عذابه إذا أراده بهم . **(وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)** .

ثم ضرب مثلاً لما ينفقه الكفار فى هذه الدار - قاله مجاهد والحسن والسُّدِّىُّ - فقال تعالى : **(مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر)** . أى برد شديد . قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم . وقال عطاء : برد وجليد . وعن ابن عباس أيضًا ومجاهد **(فيها صر)** أى نار . وهو يرجع إلى الأول ؛ فإن البرد الشديد ولا سيما الجليد يحرق الزروع والثمار كما يُحرق الشيء

بالنار .

(أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته) أى فأحرقته . يعنى بذلك السَّعْفَةَ إذا نزلت على حرث قد أن جذاذه ، أو حصاده فدمّرته وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع فذهبت به وأفسدته ، فعدمه صاحبه أحوج ما كان إليه ، فكذلك الكفار يمحق الله ثواب أعمالهم فى هذه الدنيا وثمرها كما يذهب ثمرة هذا الحرث بذنوب صاحبه . وكذلك هؤلاء بنوها على غير أصل وعلى غير أساس .

[المؤمن والكافر : أرض طيبة وأخرى خبيثة]

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

الأعراف ٥٨ .

.... قوله **(والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه)** أى والأرض الطيبة يخرج نباتها سريعًا حسنًا كقوله : (وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا)[1] ، **(وَالَّذِى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلاَّ نَكِدًا)** قال مجاهد وغيره : كالسِّباخ ونحوها . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى الآية : هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر .

وقال البخارى حدثنا محمد بن العلاء حدثنا حماد بن أسامة عن يزيد بن عبدالله عن أبى بردة عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ ما بَعَثَنِى اللَّهُ بِهِ من العلمِ والهُدَى كمَثَلِ الغَيْثِ الكثيرِ أصابَ أرْضًا فكَانَتْ منْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الماءَ فَأَنْبَتَتْ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكثيرَ ، وكانتْ منْها أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الماءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأصابَ منها طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِىَ

---

١ - آل عمران من الآية ٣٧ .

قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً . فذلك مثلُ مَنْ فَقِهَ فِى دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ ما بَعَثَنِى اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، ومثل مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ» . رواه مسلم والنَّسائى من طرق عن أبى أسامة حماد بن أسامة به.

[المؤمنون والكفار : هل يستويان؟]

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

هود ٢٤ .

.... ضـرب تعـالى مـثل الكافـرين والمؤمنين فـقـال : **(مثل الفريقين)** أى الذين وصفهم أولاً بالشقاء[١] ، والمؤمنين بالسعادة[٢] . فأولئك كالأعمى والأصم ، وهؤلاء كالبصير والسميع ؛ فالكافر أعمى عن وجه الحق فى الدنيا والآخرة ، لا يهتدى إلى خيرولا يعرفه ، أصم عن سماع الحجج فلا يسمع ما ينتفع به **(وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ)**.... الآية[٣] . وأمـا المؤمن فـفَطِن ذكيٌّ لبـيب بصير بالحق يُمَيِّزُ بينه وبين الباطل فيتبع الخير ويترك الشر ، سميع للحجة ، يُفرِّق بينها وبين الشُّبْهَة ، فلا يروج عليه باطل . فهل يستوى هذا وهذا؟ .

(أفلا تذكرون) أفلا تعتبرون فتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء كما قال فى الآية الأخرى : (لاَ يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ

---

١ - فى مواضع عديدة سابقة أقربها فى الآيتين ٢١ ، ٢٢ من السورة نفسها .

٢ - فى الآية ٢٣ .

٣ - الأنفال من الآية ٢٣ .

أصْحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الفَائِزُونَ)[1] . وكقوله : (ومَا يَسْتَوِي الأَعْمَى والبَصِيرُ وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلاَّ نَذِيرٌ . إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ)[2] .

---

١ ـ الحشر ٢٠ .

٢ ـ فاطر الآيات ١٩ ـ ٢٤ .

[المؤمن والكافر
أو الحق سبحانه وتعالى والأوثان]

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

النحل ٧٥ .

قال العوفيُّ عن ابن عباس : هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن . وكذا قال قتادة . واختاره ابن جرير . فالعبد المملوك الذى لا يقدر على شىء مثل الكافر ، والمرزوق الرزق الحسن فهو يُنفق منه سرًا وجهرًا هو المؤمن .

وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد : هو مثل مضروب للوثن وللحق تعالى ، فهل يستوى هذا وهذا ؟ ولما كان الفرق بينهما ظاهرًا واضحًا بيِّنًا لا يجهله إلا كلُّ غبىٍّ قال الله تعالى : (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) .

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

النحل ٧٦ .

قال مجاهد : وهذا أيضًا المراد به الوثن والحق تعالى . يعنى أن الوثن أبكم لا يتكلم ولا ينطق بخير ولا بشىء ولا يقدر على شىء بالكلية فلا مقال ولا فعال ، وهو مع هذا كَلٌّ ؛ أى عيال ، وكلفة على مولاه . **(أينما يوجهه)** أى يبعثه . **(لا يأت بخير)** ولا ينجح مسعاه . **(هل يستوى)** مَنْ هذه صفاته **(ومن يأمر بالعدل)** أى بالقسط ؛ فمقاله حق ، وفعاله مستقيمة **(وهو على صراط مستقيم)**؟ وقيل الأبكم مولى لعثمان . وبهذا قال السُّدِّيُّ وقتادة وعطاء الخراساني . واختار هذا القول ابن جرير .

وقال العوفيُّ عن ابن عباس : هو مثل للكافر والمؤمن أيضًا كما تقدم . وقال ابن جرير حَدَّثنا الحسن بن الصباح البزار حدثنا يحيى ابن إسحق السالحيني حدثنا حماد حدثنا عبدالله بن عثمان بن خيثم عن إبراهيم عن عكرمة عن يعلى بن أمية عن ابن عباس في قوله (ضرب الله مثلاً عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء) قال : نزلت في رجل من قريش وعبده ؛ يعني قوله (عبدًا مملوكًا) ... الآية .

وفي قوله (وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم) إلى قوله (وهو على صراط مستقيم) قال : هو عثمان بن عفان . قال : والأبكم الذى أينما يوجهه لا يأتِ بخير قال هو مولى لعثمان بن عفان ؛ كان عثمان ينفق عليه ويكفله[1] ويكفيه المؤونة ، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف فنزلت فيهما .

١ ـ فى الأصل « يكلفه » تصحيف . وما أثبتناه يتفق وسياق الجملة .

[صاحب الجنتين وصاحبه المؤمن بالله]

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾

الكهف ٣٢ : ٣٦ .

يقول تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين ، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم ، فضرب لهم ولهم(١) مثلاً برجلين ؛ جعل الله لأحدهما جنتين ؛ أى بستانين من أعناب ، محفوفتين بالنخيل المحدقة فى جنباتهما وفى خلالهما الزروع ، وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل فى غاية الجودة . ولهذا قال **(كلتا الجنتين آتت أكلها)** أى أخرجت ثمرها .

---

١ - يعنى المشركين المستكبرين ، والضعفاء والمساكين من المسلمين .

(ولم تظلم منه شيئًا) أى ولم تنقص منه شيئًا . **(وفجرنا خلالهما نهرًا)** أى والأنهار متفرقة فيهما ههنا وههنا . **(وكان له ثُمُرٌ)** بضم الثاء وتسكين الميم فيكون جمع (ثمرة) ؛ كخَشَبَةَ وخُشُب . وقرأ آخرون (ثَمَرٌ) بفتح الثاء والميم . فقال ـ أى صاحب هاتين الجنتين ـ لصاحبه ، وهو يحاوره ـ أى يجادله ويخاصمه ـ يفتخر عليه ويَتَرَأسُ : **(أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرًا)** أى أكثر خَدَمًا وحَشَمًا وولدًا . قال قتادة : تلك والله أمنية الفاجر ؛ كثرة المال وعزة النفر .

وقوله : **(ودخل جنته وهو ظالم لنفسه)** أى بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد . **(قال ما أظن أن تبيد هذه أبدًا)** وذلك اغترار منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المُطَّرِدَة فى جوانبها وأرجائها . ظن أنها لا تَفْنَى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف ؛ وذلك لقلة عقله ، وضعف يقينه بالله ، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها ، وكفره بالآخرة . ولهذا قال : **(وما أظن الساعة قائمة)** أى كائنة .

(ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرًا منها منقلبًا) أى ولئن كان معادٌ ورجعة ومرد إلى الله ليكونن لى هناك أحسن من هذا الحظ عند ربى ، ولولا كرامتى عليه ما أعطانى هذا . كما قال فى الآية الأخرى : (وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّى إِنَّ لِى عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى)[2] .

---

٢ ـ فُصِّلَتْ من الآية ٥٠ .

وقال : (أَفَرَأَيتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا)[1] . أى فى الدار الآخرة ، تألى على الله عز وجل ...

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾

٣٧ : ٤١ .

يقول تعالى مخبرًا عما أجابه به صاحبه ؛ واعظًا له وزاجرًا عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار : **(أكفرت بالذى خلقك من تراب)**.... الآية . وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذى خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين ؛ وهو آدم ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، كما قال تعالى : **(كَيفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ)**....الآية[2] . أى : كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم

---

١ - مريم ٧٧ .

٢ - البقرة ٢٨ .

ظاهرة جليّة كلُّ أحدٍ يعلمها من نفسه؟ فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدومًا ثم وُجد ، وليس وجوده من نفسه ولا مستندًا إلى شيء من المخلوقات ؛ لأنه بمثابته ، فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء .

ولهذا قال المؤمن : **(ولكنا هو الله ربى)** أى لكن أنا لا أقول بمقالتك بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية . **(ولا أشرك بربى أحدًا)** أى بل هو الله المعبود وحده لا شريك له . ثم قال : **(ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالاً وولدًا)** هذا تحضيض وحث على ذلك ؛ أى هَلاَّ[1] إذ أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله . ولهذا قال بعض السلف : من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقلْ ما شاء الله لا قوة إلا بالله . وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة.

وقد رُوى فيه حديث مرفوع أخرجه الحافظ أبويعلى الموصلى فى مسنده حدثنا جراح بن مخلد حدثنا عمرو بن يونس حدثنا عيسى ابن عون حدثنا عبدالملك بن زرارة عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً مِنْ

---

١ ـ أصلها «لا» بنيت مع «هل» فصار فيها معنى التحضيض . أمّا «هَلاَ» بدون تشديد اللام فاستعجال وحث .

أهْلٍ أوْ مالٍ أوْ وَلَدٍ فيقُولُ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ فيُرَى فيهِ آفَةً دُونَ الموتِ» . وكـان يتـأول هذه الآية (ولولا إذ دخلت جنتك قلت مـا شاء الله لا قوة إلا بالله) . قال الحافظ أبوالفتح الأزدى : عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة عن أنس لا يصح حديثه .

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة وحجاج حدثنى شعبة عن عاصم بن عبيدالله عن عبيد مولى أبى رهم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألاَ أدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجنَّةِ؟ لا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ » . تفرد به أحمد .

وقد ثبت فى الصحيح عن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « ألاَ أدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ » . وقـال الإمـام أحـمد حـدثنا بكير بن عـيسى حـدثنا أبوعوانة عن أبى بلخ عن عمرو بن ميمون قال : قال أبوهريرة قال لى رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبَا هُرَيْرَةَ ألاَ أدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ تَحْتَ العَرْشِ؟ قال : قُلْتُ فِدَاكَ أبِى وَأمِّى . قـال "أنْ تَقُولَ لاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ » . قال أبوبلخ : وأحْسَبُ أنه قال : « فـإن اللهَ يقُولُ أسْلَمَ عَبْدِى وَاسْتَسْلَمَ » . قال : فقلت لعمرو قال أبوبلخ قال عـمـرو قلت لأبى هريرة لا حـول ولا قـوة إلا بالله فـقـال لا إنهـا فى سـورة الكهف (ولولا إذ دخلت جنتك قلت مـا شـاء الله لا قـوة إلا بالله) .

وقوله : (فعسى ربى أن يؤتين خيرًا من جنتك) . أى فى الدار الآخرة . (ويرسل عليها) أى على جنتك فى الدنيا التى ظننت أنها لا تبيد ولا تفنى . (حسبانًا من السماء) قال ابن عباس والضحاك وقتادة ومالك عن الزهرى : أى عذابًا من السماء . والظاهر أنه مطر عظيم مزعج ، يقلع زرعها وأشجارها . ولهذا قال : (فتصبح صعيدًا زلقًا) أى بلقعًا ترابًا أملس لا يثبت فيه قدم . وقال ابن عباس : كالجُرُزِ[1] الذى لا ينبت شيئًا .

وقوله : (أو يصبح ماؤها غورًا) أى غائرًا فى الأرض ، وهو ضد النابع الذى يطلب وجه الأرض ؛ فالغائر يطلب أسفلها كما قال تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ)[2] ؛ أى جار وسائح . وقال ههنا (أو يصبح ماؤها غورًا فلن تستطيع له طلبًا) . والغَوْرُ مصدر بمعنى غائر . وهو أبلغ منه كما قال الشاعر :

« تَظَلُّ جِيَادُهُ نَوْحًا عَلَيْهِ تُقَلِّدُهُ أَعِنَّتَها صُفُوفًا » .

بمعنى نائحات عليه[3] .

---

١ ـ الجُرُزُ : الأرضُ الجَدْبَة . وبه فُسِّرَ قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ)؟ .

٢ ـ الملك ٣٠ .

٣ ـ فى البيت استُخدم المصدر « نوح » بمعنى اسم الفاعل « نائحات » . واستشهد به المصنف فى تفسير « غَوْرًا » فى الآية بـ « غائر » .

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

. ٤٤ : ٤٢

يقول تعالى : **(وأحيط بثمره)** بأمواله أو بثماره على القول الآخر . والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوّفه به المؤمنُ من إرسال الحسبان على جنته التى اغتر بها وألهته عن الله عز وجل **(فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها)** . وقال قتادة : يصفق كفيه متأسفًا متلهفًا على الأموال التى أذهبها عليها . **(ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدًا * ولم تكن له فئة)** . أى عشيرة أو ولد كما افتخر بهم واستعز . **(ينصرونه من دون الله وما كان منتصرًا * هنالك الولاية لله الحق)** اختلف القراء ههنا ؛ فمنهم من يقف على قوله (وما كان منتصرًا هنالك) أى فى ذلك الموطن الذى حل به عذاب الله فلا منقذ له منه ، ويبتدئ بقوله (الولاية لله الحق) . ومنهم من يقف على (وما كان منتصرًا) ويبتدئ بقوله : (هنالك الولاية لله الحق) . ثم اختلفوا فى قراءة

(الولاية) ؛ فمنهم من فتح الواو من الولاية ، فيكون المعنى هنالك الموالاة لله ؛ أى هنالك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب . كقوله : (فلمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ)(١) . وكقوله إخبارًا عن فرعون : (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسرائيلَ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ)(٢)؛ ومنهم من كســـر الواو من الولاية ؛ أى هناك الحكم لله الحق . ثم منهم من رفع (الحق) على أنه نعت للولاية ، كقوله تعالى : (المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الكَافِرِينَ عَسِيرًا)(٣) . ومنهم من خفض القاف على أنه نعت لله عز وجل ، كقوله (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الحَقِّ...)(٤) الآية . ولهذا قال تعالى : (هو خير ثوابًا) أى جزاء . (وخير عقبًا) أى الأعمال التى تكون لله عز وجل ثوابها خير وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير .

---

١ ـ غافر ٨٤ .

٢ ـ يونس ٩٠ ، ٩١ .

٣ ـ الفرقان ٢٦ .

٤ ـ الأنعام من الآية ٦٢ .

[المؤمن والكافر : فى الدنيا والآخرة]

أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾

الملك ٢٢ .

...... وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ؛ فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشى مُكِبًا على وجهه ؛ أى يمشى منحنياً لا مستويًا على وجهه ؛ أى لا يدرى أين يسلك ، ولا كيف يذهب ، بل تائه حائر ضال ، أهذا أهدى **(أمن يمشى سويًا)** أى منتصب القامة **(على صراط مستقيم)** أى على طريق واضح بين وهو فى نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة؟ هذا مثلهم فى الدنيا ، وكذلك يكونون فى الآخرة ؛ فالمؤمن يُحشر يمشى سويًا على صراط مستقيم مُفْضٍ به إلى الجنَّةِ الفيحاء . وأما الكافر فإنه يحشر يمشى على وجهه إلى نار جهنم (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمْ...)[1] الآيات . أزواجهم أشباههم . قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير حدثنا إسماعيل عن نفيع قال سمعت أنس بن مالك يقول : قيل يا رسولَ اللَّهِ كيفَ يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى وُجُوهِهِم؟ فقال : « أَلَيسَ الَّذِى

---

١ ـ الصافات ٢٢ ، ٢٣ .

أَمْشَاهُمْ عَلَى أَرْجُلِهِمْ قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيهِمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ »؟ وهذا الحديث مُخَرَّجٌ فى الصحيحين .

[امراة نوح وامراة لوط]

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾

التحريم ١٠ .

.... قال تعالى : **(ضرب الله مثلاً للذين كفروا)** . أى فى مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يجدى عنهم شيئًا ولا ينفعهم عند الله إن لم يكن الإيمان حاصلاً فى قلوبهم . ثم ذكر المثل فقال : **(امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين)** أى نبيين رسولين عندهما فى صحبتهما ليلا ونهارًا ؛ يؤاكلانهما ، ويضاجعانهما ، ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط ، **(فخانتاهما)** أى فى الإيمان ؛ لم يوافقاهما على الإيمان ، ولا صدقاهما فى الرسالة ، فلم يُجْدِ ذلك كله شيئًا ، ولا دفع عنهما محذورًا . ولهذا قال تعالى : **(فلم يغنيا عنهما من الله شيئًا)** . أى لكفرهما . **(وقيل)** أى للمراتين **(ادخلا النار مع الداخلين)** .

وليس المراد بقوله (فخانتاهما) فى فاحشة ، بل فى الدِّين ؛ فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع فى الفاحشة ؛ لحرمة الأنبياء ،

كما قدمنا فى سورة النور[1] . قال سفيان الثورى عن موسى بن أبى عائشة عن سليمان بن قرم سمعت ابن عباس يقول فى هذه الآية (فخانتاهما) قال : ما زَنَتَا ؛ أمَّا خيانة امرأة نوح فكانت تُخبر أنه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه . وقال العوفى عن ابن عباس قال : كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما ؛ فكانت امرأة نوح تَطَّلِعُ على سر نوح ، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به . وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف[2] لوط أحدًا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء . وقال الضحاك عن ابن عباس : ما بغت امرأة نبى قط ؛ إنما كانت خيانتهما

---

١ ـ جاء فى تفسيره لقول الله عز وجل (وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ) : «أى تقولون ما تقولون فى شأن أم المؤمنين وتحسبون ذلك يسيرًا سهلاً ، ولو لم تكن زوجة النبى صلى الله عليه وسلم لما كان هينًا فكيف وهى زوجة النبىِّ الأمىِّ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين؟ فعظيم عند الله أن يقال فى زوجة نبيه ورسوله ما قيل ، فإنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى يغار لهذا ، وهو سبحانه وتعالى لا يقدر على زوجة نبى من الأنبياء ذلك ، حاشا وكلا».

وفى تفسير قوله تعالى : (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ والطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ) » وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم « الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء ، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء. وهذا أيضًا يرجع إلى ما قاله أولئك باللازم ؛ أى ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهى طيبة ؛ لأنه أطيب من كل البشر ، ولو كانت خبيثة لما صلحت له ؛ لا شرعًا ولا قدرًا » .

٢ ـ أضاف ههنا بمعنى أنزله ضيفًا عنده .

فى الدين . وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم .

وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذى يأثره كثير من الناس : « مَنْ أكَلَ مَعَ مَغْفُورٍ لَهُ غُفِرَ لَهُ » . وهذا الحديث لا أصل له ، وإنما يُروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال : يا رسول الله أنت قلت من أكل مع مغفور له غُفِرَ لَهُ؟ قال : لا ؛ ولكنى الآن أقوله .

[امراة فرعون ومريم ابنة عمران]

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

التحريم ١١ ، ١٢ .

وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم . كما قال تعالى : (لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُ تُقَاةً)(١) . قال قتادة : كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم ، فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربَّها ، ليعلموا أن الله تعالى حَكَمٌ عَدْلٌ لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه .

وقال ابن جرير : حدثنا إسماعيل بن حفص الإيلى حدثنا محمد بن جعفر عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان قال : كانت امرأة فرعون تُعَذَّبُ في الشمس ، فإذا انصرف عنها أظلتها

---

١ ـ آل عمران من الآية ٢٨ .

الملائكة بأجنحتها ، وكانت ترى بيتها فى الجنة . ثم رواه عن عبيد بن محمد المحاربى عن أسباط بن محمد عن سليمان التيمى به . ثم قال ابن جرير حدثنى يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن هشام الدستوائى حدثنا القاسم بن أبى بزة قال : كانت امرأة فرعون تسأل : مَنْ غَلَبَ؟ فيقال : غلب موسى وهارون . فتقول : آمنت برب موسى وهارون . فأرسل إليها فرعون ، فقال : انظروا أعظم صخرة تجدونها ، فإن مضت على أقوالها فألقوها عليها ، وإن رجعت عن قولها فهى امرأتى . فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها فى الجنة فمضت على قولها وانتُزعت روحُها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح .

فقولها : **(رب ابن لى عندك بيتًا فى الجنة)** قال العلماء : اختارت الجار قبل الدار وقد ورد شىء من ذلك فى حديث مرفوع . **(ونجنى من فرعون وعمله)** أى خلصنى منه ؛ فإنى أبرأ إليك من عمله . **(ونجنى من القوم الظالمين)** . وهذه المرأة هى آسية بنت مزاحم رضى الله عنها .

وقال أبوجعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال : كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان امرأة خازن فرعون ؛ وذلك أنها جلست تُمَشِّطُ ابنة فرعون فوقع المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله . فقالت لها بنت فرعون : ولك رب غير أبى؟ قالت : ربى ورب أبيك ورب كل شىء ؛ الله . فلطمتها بنت فرعون ، وضربتها ،

وأخبرت أباها . فأرسل إليها فرعون ، فقال : تعبدين ربًا غيرى؟ قالت نعم ، ربى وربك ورب كل شيء ؛ الله ، وإياه أعبد . فعذبها فرعون ، وأوتد لها أوتادًا ، فشد يديها ورجليها ، وأرسل عليها الحيّات . فكانت كذلك ، فأتى عليها يومًا ، فقال لها : ما أنت منتهيةٌ؟ فقالت له : ربى وربك ورب كل شيء الله . فقال لها : إني ذابح ابنك في فيك إن لم تفعلى . فقالت له اقض ما أنت قاض فذبح ابنها في فيها . وإن روح ابنها بَشَّرها فقال لها : أبشرى يا أمه ، فإن لك عندالله من الثواب كذا وكذا . فصبرت . ثم أتى عليها فرعون يومًا آخر فقال لها مثل ذلك ، فقالت له مثل ذلك ، فذبح ابنها الآخر في فيها فبَشَّرَهَا رُوحُه أيضًا وقال لها : اصبرى يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا . قال وسمعتْ امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر ، فآمنت امرأة فرعون ، وقبض الله روح امرأة خازن فرعون وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتى رأت ، فازدادت إيمانًا ويقينًا وتصديقًا . فأطلع الله فرعون على إيمانها ، فقال للملأ : ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها . فقال لهم : إنها تعبد غيرى . فقالوا له : اقتلها ، فأوتد لها أوتادًا فشد يديها ورجليها . فدعت آسية ربها فقالت :(رب ابن لى عندك بيتًا في الجنة) فوافق ذلك أن حضرها فرعون ، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة ، فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها ؛ إنا نعذبها وهي تضحك . فقبض الله روحها في الجنة رضى الله عنها .

وقوله تعالى : (**ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها**) . أى حفظته وصانته . والإحصان هو العفاف والحرية . (**فنفخنا فيه من روحنا**) أى بواسطة الملك ؛ وهو جبريل ؛ فإن الله بعثه إليها ، فَتَمَثَّلَ لها فى صورة بشر سَوِيٍّ ، وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه فى جيب درعها فنزلت النفخة فولجت فى فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليها السلام . ولهذا قال تعالى : (فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه) . أى بقدره وشرعه . (**وكانت من القانتين**) قال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا داود بن أبى الفرات عن علباء عن عكرمة عن ابن عباس قال : خَطَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأرض أربعة خُطُوطٍ وقال : « أَتَدْرُونَ مَا هَذَا »؟ قالوا « اللهُ ورسُولُهُ أعلمُ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضَلُ نِسَاءِ أهْلِ الجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ومريمُ ابنة عمرانَ وآسيةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ » . وقد ثبت فى الصحيحين من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمدانى عن أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كَمُلَ[1] مِنَ الرِّجالِ كَثِيرٌ ، ولَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّساءِ إِلاَّ آسيةَ امرأةَ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ . وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ » . وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث

---

١ - الفعل « كمل » يجيء بضم عينه وفتحها - لغتان - وكسرها - لغة ثالثة وهى أردؤها - من الكمال وهو - فيما أظن - البَشَرِيُّ .

وألفاظها والكلام عليها فى قصة عيسى بن مريم عليهما السلام فى كتابنا « البداية والنهاية » . ولله الحمد والمنة . وذكرنا ما ورد من الحديث من أنها تكون هى وآسية بنت مزاحم من أزواجه عليه السلام فى الجنة عند قوله : (ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا)(١) .

---

١ - التحريم من الآية ٥ . راجع تفسيره لسورة التحريم .

[الإنفاق فى سبيل الله]

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾

البقرة ٢٦١ .

هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق فى سبيله وابتغاء مرضاته ، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فقال : **(مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله)** . قال سعيد بن جبير : يعنى فى طاعة الله . وقال مكحول : يعنى به الإنفاق فى الجهاد من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس : الجهاد والحج يضعف الدرهم فيهما إلى سبعمائة ضعف ولهذا قال تعالى : **(كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة)** .

وهذا المثل أبلغ فى النفوس من ذكر عدد السبعمائة ؛ فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها كما ينمى الزرع لمن بذره فى الأرض الطيبة . وقد وردت السُّنَّة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف . قال الإمام أحمد حدثنا زياد ابن الربيع أبو خداش حدثنا واصل مولى ابن عيينة عن بشار بن أبى سيف الجرمى عن عياض بن غطيف قال : دخلنا على أبى عبيدة

نعوده من شكوى أصابه بجنبه ، وامرأته تحيفة قاعدة عند رأسه قلنا: كيف بات أبوعبيدة؟ قالت : والله لقد بات بأجر . قال أبوعبيدة : ما بت بأجر . وكان مقبلاً بوجهه على الحائط فأقبل على القوم بوجهه وقال : ألا تسألوني عما قلت؟ قالوا ما أعجبنا ما قلت فنسأل عنه . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فَاضِلَةً فِي سبيلِ اللَّهِ فَسبْعُمَائَةٌ ، وَمَنْ أَنْفَقَ عَلَى نَفْسِه وَأَهْلِه أَوْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ مازَ أَذًى فَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ ما لَمْ يخرقْهَا ، ومَنْ ابْتَلاهُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ بِبَلاءٍ فِي جَسَدِه فَهُوَ حِطَّةٌ »(1) . وقد روى النسائي في الصوم بعضه من حديث واصل به ومن وجه آخر موقوفًا .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد حَدَّثنا محمد بن جعفر حَدَّثنا شعبة عن سليمان سمعت أبا عمرو الشيباني عن ابن مسعود أن رجلاً تصدق بناقة مخطومة في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَتَأْتِيَنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ بِسبْعمائة نَاقة مَخْطُومَة » . ورواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن مهران عن الأعمش به . ولفظ مسلم : جاء رجل بناقة مخطومة فقال : يا رسول الله هذه في سبيل الله . فقال : « لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ سبْعُمَائة نَاقَة » .

(حديث آخر) : قال أحمد حَدَّثنا عمرو بن مجمع أبو المنذر

---

1 - مازَ الشيء : عزله . وجُنَّةٌ وقاية . والبلاء من مرض ونحوه . والحِطَّةُ : طلب المغفرة .

الكندى أخبرنا إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ حَسَنَةَ ابْنِ آدَمَ إِلَى عَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سبعمائة ضِعْفٍ إِلاَّ الصَّوْمَ ، والصَّوْمُ لِى وَأَنَا أَجْزِى بِهِ ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ إِفْطَارِهِ وَفَرْحَةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَلَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ »[1] .

(حديث آخر) : قال أحمد أخبرنا وكيع أخبرنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الحسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمَائَة ضِعْفٍ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ . يقُولُ اللَّهُ إِلاَّ الصَّوْمُ فإِنَّهُ لِى وَأَنَا أَجْزِى بِهِ دَعْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِى ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ ، وَلَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ » كذا رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وأبى سعيد الأشج كلاهما عن وكيع به .

(حديث آخر) : قال أحمد حدثنا حسين بن على عن زائدة عن الدكين عن بشر بن عميلة عن حريم بن وائل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِى سَبِيلِ اللَّهِ تُضَاعَفُ بِسَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ » .

---

١ - فى رواية أبى هريرة - الحديث التالى مباشرة : « يقول الله إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » . وهو يفسر الالتفات هنا

(حديث آخر) : قال أبو داود أنبأنا محمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عن يحيى بن أيوب وسعيد بن أبى أيوب عن زبان بن فائد عن سهل بن معاذ عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الصَّلاَةَ وَالصِّيَامَ والذِّكْرَ يُضَاعَفُ عَلَى النَّفَقَةِ فِى سبيلِ اللَّهِ بِسبْعِمائةِ ضِعْفٍ » .

(حديث آخر) : قال ابن أبى حاتم أنبأنا أبى حَدَّثنا هارون بن عبدالله بن مروان حَدَّثنا ابن أبى فديك عن الخليل بن عبدالله عن الحسن عن عمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ أَرْسَلَ بِنَفَقَةٍ فِى سَبِيلِ وَأَقَامَ فِى بَيْتِهِ فَلَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ سبْعمائة دِرْهَمٍ يَوْمَ القِيَامَةِ وَمَنْ غَزَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْفَقَ فِى جِهَةِ ذَلِكَ فَلَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ سبْعمائةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ » . ثم تلا هذه الآية : (وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ) . وهذا حديث غريب . وقد تقدم حديث أبى عثمان النهدى عن أبى هريرة فى تضعيف الحسنة إلى ألفى حسنة عند قوله : (مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً)....الآية[1] .

(حديث آخر) : قال ابن مردويه حَدَّثنا عبدالله بن عبيدالله بن العسكرى البزار أخبرنا الحسن بن على بن شبيب أخبرنا محمود بن خالد الدمشقىّ أخبرنا أبى عن عيسى بن المسيّب عن نافع عن ابن عمر لما نزلت هذه الآية (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله)

١ ـ البقرة ٢٤٥ . راجع تفسير الآية بالجزء الأول من « تفسير القرآن العظيم » .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « رَبِّ زِدْ أُمَّتِى » . قال فأنزل الله : (مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) . قال : « رَبِّ زِدْ أُمَّتِى » . قال : فأنزل الله : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » . وقد رواه أبو حاتم وابن حبان فى صحيحه عن حاجب بن أركين عن أبى عمر حفص بن عمر بن عبدالعزيز المقرى عن أبى اسماعيل المؤدب عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر فذكره . وقوله ههنا : (والله يضاعف لمن يشاء) أى بحسب إخلاصه فى عمله . (والله واسع عليم) أى فضله واسع كثيراً أكثر من خلقه ، عليم بمن يستحق ومن لا يستحق ، سبحانه وبحمده .

[الإنفاق رياءً وسمعةً]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾

البقرة ٢٦٤ .

قال الله تعالى **(يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى)** . فأخبر أن الصدقة تَبْطُلُ بما يتبعها من المنّ والأذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ليُشكر بين الناس أو يقال إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه . ولهذا قال : **(ولا يؤمن بالله واليوم الآخر)** .

ثم ضرب تعالى مثل ذلك المرائى بإنفاقه . قال الضحاك : والذى يتبع نفقته منًّا أو أذى فقال **(فمثله كمثل صفوان)** وهو جمع صفوانة ، فمنهم من يقول الصفوان يستعمل مفردًا أيضًا وهو الصفا وهو الصخر الأملس . **(عليه تراب فأصابه وابل)** وهو

المطر الشديد . **(فتركه صلدًا)** أى فترك الوابل ذلك الصفوان صلدًا أى أملس يابسًا ، أى لا شيء عليه من ذلك التراب ، بل هو قد ذهب كله . أى وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب . ولهذا قال : **(لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين)** .

[المبتغون بنفقتهم مرضات الله]

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾

البقرة ٢٦٥ .

وهذا مثل المؤمنين المنفقين أموالهم **(ابتغاء مرضات الله)** عنهم فى ذلك **(وتثبيتاً من أنفسهم)** أى وهم متحققون ومتثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء . ونظير هذا معنى قوله عليه السلام فى الحديث الصحيح المتفق على صحته : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا » أى يؤمن أن الله شرعه ويحتسب عند الله ثوابه . قال الشَعْبِيُّ (وتثبيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ) أى تصديقًا ويقينًا . وكذا قال قتادة وأبوصالح وابن زيد واختاره ابن جرير . وقال مجاهد والحسن أى يتثبتون أين يضعون صدقاتهم .

وقوله : **(كمثل جنة بربوة)** أى كمثل بستان بربوة ؛ وهو عند الجمهور المكان المرتفع من الأرض . وزاد ابن عباس والضحاك : وتجرى فيه الأنهار . قال ابن جرير رحمه الله : وفى الربوة ثلاث لغات هن ثلاث قراءات ؛ بضم الراء وبها قرأ عامة أهل المدينة والحجاز والعراق ، وفتحها وهى قراءة بعض أهل الشام والكوفة

ويقال إنها لغة تميم ، وكسر الراء ويذكر أنها قراءة ابن عباس .

وقوله : **(أصابها وابل)** وهو المطر الشديد كما تقدم . **(فآتت أكلها)** أى ثمرتها . **(ضعفين)** أى بالنسبة إلى غيرها من الجنان . **(فإن لم يصبها وابل فطل)** قال الضحاك : هو الرذاذ ؛ وهو اللين من المطر . أى هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبدًا ؛ لأنها إن لم يصبها وابل فَطَلٌّ . وأيًا ما كان فهو كفايتها . وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبدًا ، بل يتقبله الله ويُكَثِّرُهُ وينميه كل عامل بحسبه . ولهذا قال : **(والله بما تعملون بصير)** أى لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء .

[من أغرقته المعصية بعد الطاعة والصلاح]

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

البقرة ٢٦٦ .

قال البخاريُّ عند تفسير هذه الآية : حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام - هو ابن يوسف - عن ابن جريج سمعت عبدالله بن أبى مليكة يُحَدِّثُ عن ابن عباس وسمعت أخاه أبا بكر بن أبى مليكة يُحَدِّثُ عن عبيد بن عمير قال : قال عمر بن الخطاب يومًا لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : فيمن ترون هذه الآية نزلت (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب)؟ قالوا : الله أعلم . فغضب عمر فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم . فقال ابن عباس :فى نفسى منها شىء يا أمير المؤمنين فقال عمر : يا ابن أخى قل ولا تَحْقِرْ نَفْسَكَ[1] . فقال ابن عباس رضى الله عنهما : ضُربت مثلاً بعمل . قال عمر : أى عمل؟ قال ابن عباس : لرجل غنى يعمل بطاعة الله ، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله . ثم رواه البخارى عن

١ - تَحْقِرْ نفسك : تستصغرها .

الحسن بن محمد الزعفرانى عن حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج فذكره . وهو من أفراد البخارى رحمه الله .

وفى هذا الحديث كفاية فى تفسير هذه الآية وتبيين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أولاً ثم بعد ذلك انعكس سيره فبدل الحسنات بالسيئات عياذًا بالله من ذلك ، فأبطل بعمل الثانى ما أسلفه فيما تقدم من الصالح ، واحتاج إلى شىء من الأول فى أضيق الأحوال ، فلم يحصل منه شىء وخانه أحوجَ ما كان إليه . ولهذا قال تعالى : **(وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار)** وهو الريح الشديد **(فيه نار فاحترقت)** أى أحرق ثمارها وأباد أشجارها . فأى حال يكون حاله ؟! .

وقد روى ابن أبى حاتم من طريق العوفىُّ عن ابن عباس قال : ضرب الله مثلاً حسنًا - وكل أمثاله حسن - قال : **(أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات)** يقول صنعه فى شيبته **(وأصابه الكبر)** وولده وذريته ضعاف عندآخر عمره ، فجاءه إعصار فيه نار ، فاحترق بستانه فلم يكن عنده قوة أن يغرس مثله ، ولم يكن عندنسله خير يعودون به عليه . وكذلك الكافر يكون يوم القيامة إذارُدَّ إلى الله عز وجل ليس له خير ، فيستعتب كما ليس لهذا قوة فيغرس مثل بستانه ، ولا يجده قدم لنفسه خيرًا يعود عليه ، كما لم يُغن عن هذا ولده ، وحُرم أجره عند أفقر ما كان إليه ، كما حُرم هذا جنته عندما كان أفقر ما كان

إليها عند كبره وضعف ذريته . وهكذا روى الحاكم فى مستدركه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه « اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ لِى عِنْدَ كِبَرِ سِنِّى وانْقِضَاءَ عُمْرِى » . ولهذا قال تعالى : (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) . أى تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعانى وتنزلونها على المراد منها . كما قال تعالى : (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا للنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ)(١) .

---

١ ـ العنكبوت ٤٣ .

[الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها واتبع الشيطان]

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾

الأعراف ١٧٥ : ١٧٧ .

قال عبدالرزاق عن سفيان الثورى عن الأعمش ، ومنصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى **(واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها)**...الآية قال : هو رجل من بنى إسرائيل يقال له بلعم بن باعوراء . وكذا رواه شعبة وغير واحد عن منصور به .

وقال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن ابن عباس : هو صيفى بن الراهب . قال قتادة وقال كعب كان رجلاً من أهل البلقاء ،وكان يعلم الاسم الأكبر ، وكان مقيمًا ببيت المقدس مع الجبارين . وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنه : هو رجل من أهل اليمن يقال

له بلعم ؛ آتاه الله آياته فتركها .

وقال مالك بن دينار : كان من علماء بنى إسرائيل ، وكان مجاب الدعوة ، يقدمونه فى الشدائد ، بعثه نبى الله موسى عليه السلام إلى ملك مدين يدعوه إلى الله ، فأقطعه وأعطاه ، فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام . وقال سفيان بن عيينة عن حصين عن عمران بن الحارث عن ابن عباس : هو بلعم بن باعوراء ، وكذا قال مجاهد وعكرمة .

وقال ابن جرير حدثنى الحارث حدثنا عبدالعزيز حدثنا إسرائيل عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال : هو بلعام . وقالت ثقيف هو أمية بن أبى الصلت . وقال شعبة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبدالله بن عمرو فى قوله **(واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا)**... الآية . قال : هو صاحبكم أمية بن أبى الصلت .

وقد روى من غير وجه عنه وهو صحيح إليه . وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبى الصلت يشبهه ؛ فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير من علم الشرائع المتقدمة ، ولكنه لم ينتفع بعلمه ؛ فإنه أدرك زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته ، وظهرت لكل من له بصيرة ، ولم يتبعه ، وصار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتداحهم ، ورثى أهل بدر من المشركين بمرثاة بليغة[1]

---

١ - له فى بدر مرثيتان ؛ إحداهما - فى سبعة أبيات - يبكى فيها زمعة بن الأسود وقتلى بنى أسد من قريش. السيرة النبوية لابن هشام ت. مصطفى السقا =

. قبحه الله . وقد جاء في بعض الأحاديث أنه ممن آمن لسانه ولم يؤمن قلبه ؛ فإن له أشعارًا ربانية وحكمًا وفصاحة[1] . ولكنه لم يشرح الله صدره للإسلام .

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى نمر حدثنا سفيان عن أبى سعيد الأعور عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله : (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) قال : هو رجل أعطى ثلاثَ

= وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى ـ ط٢ (مكتبة مصطفى البابى الحلبى ـ القاهرة ، سنة ١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٤م) المجلد الثانى ص٣٢ ونسب قريش لأبى عبدالله المصعب بن عبدالله الزبيرى ـ ت. ليفى بروفنسال ـ ط٣ (دار المعارف ـ القاهرة سنة ١٩٨٢م) ص٢٠٦ ـ مع اختلاف فى عدد الأبيات وترتيبها وفى بعض الألفاظ .

والثانية فى إحدى وثلاثين بيتًا حائية قيل إن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن روايتها . السيرة النبوية ـ المجلد الثانى ص٣٠ . والعقد الفريد لابن عبدربه (لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة سنة ١٤٧٢هـ ـ ١٩٥٢م) جـ٢ ص٣٠٠ : ٣٠٢ ، ولعلها هى المقصودة بإشارة المصنف . وقد وقفنا عندهما فى كتابنا شعر الرثاء والصراع السياسى والمذهبى فى صدر الإسلام (دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ـ الإسكندرية سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م) ص٢٧ ، ٢٨ . ولم نجدهما فى ديوانه .

١ ـ لأمية ديوان مطبوع فى ليبزج سنة ١٩١١م ، بتحقيق فردريك وفى بيروت سنة ١٩٣٤م بعناية بشيريموت إلا أنهما لا يضمان كل شعره ، وزعم بروكلمان (تاريخ الأدب العربى ـ ت.د. عبدالحليم النجار ط ٥ ـ دار المعارف ـ القاهرة سنة ١٩٨٣م جـ١ ص١١٣) أن أكثر ما رُوى له منحول عليه وهى قضية أفاض فيها ـ منذ وقت طويل ـ جمع من المستشرقين .

دعوات يستجاب له فيهن . وكانت له امرأة له منها ولد فقالت : اجعل لى منها واحدة . قال : فلك واحدة ، فما الذى تريدين؟ قالت : ادعُ الله أن يجعلنى أجمل امرأة فى بنى إسرائيل . فدعا الله فجعلها أجمل امرأة فى بنى إسرائيل . فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه[1] ، وأرادت شيئًا آخر . فدعا الله أن يجعلها كلبةً . فصارت كلبةً . فذهبت دعوتان . فجاء بنوها فقالوا : ليس بنا على هذا قرار ، قد صارت أمنا كلبة يُعَيِّرُنا الناس بها ، فادعُ الله أن يردها إلى الحال التى كانت عليها . فدعا الله فعادت كما كانت . وذهبت الدعوات الثلاث . وتسمى البسوس . غريب .

وأما المشهور فى سبب نزول هذه الآية الكريمة فإنما هو رجل من المتقدمين فى زمن بنى إسرائيل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : هو رجل من مدينة الجبارين ، يقال له بلعام ، وكان يعلم اسمَ الله الأكبر . وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وغيره من علماء السلف : كان مُجاب الدعوة ، ولا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه .

وأغرب ، بل أبعد ، بل أخطأ مَنْ قال كان قد أوتى النبوة فانسلخ منها . حكاه ابن جرير عن بعضهم . ولايصح . وقال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس : لما نزل موسى بهم - يعنى الجبارين - ومن معه ، أتاه - يعنى بلعم - أتاه بنو عمه وقومه ، فقالوا إن موسى

---

١ - أى زهدت فيه .

رجل حديد ، ومعه جنود كثيرة ، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه . قال : إنى إن دعوتُ الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياى وآخرتى . فلم يزالوا به حتى دعا عليهم . فسلخه الله ما كان عليه ، فذلك قوله تعالى : **(فانسلخ منها واتبعه الشيطان)**.....الآية .

وقال السدى : لما انقضت الأربعون سنة التى قال الله (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة)[1] بُعث يوشع بن نون نبيًا ، فدعا بنى إسرائيل ، فأخبرهم أنه نبى وأن الله أمره أن يقاتل الجبارين فبايعوه وصدقوه . وانطلق رجل من بنى إسرائيل يقال له بلعام فكان عالمًا يعلم الاسم الأعظم المكتوم فكفر - لعنه الله - وأتى الجبارين وقال لهم : لا ترهبوا بنى إسرائيل ؛ فإنى إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوةً فيهلكون وكان عنده فيما شاء من الدنيا . غير أنه كان لا يستطيع أن يأتى النساء لعظمهن ، فكان ينكح أتانًا له . وهو الذى قال الله تعالى **(فانسلخ منها)** .

وقوله تعالى : **(فأتبعه الشيطان)** أى استحوذ عليه وعلى أمره ؛ فمهما أمره امتثل وأطاعه . ولهذا قال : **(فكان من الغاوين)** أى من الهالكين الحائرين البائرين . وقد ورد فى معنى هذه الآية حديث رواه الحافظ أبويعلى الموصلى فى مسنده ؛ حيث قال : حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا محمد بن بكر عن الصلت بن

---

١ - المائدة من الآية ٢٦ .

بهرام حدثنا الحسن حدثنا جندب الجبلى فى هذا المسجد أن حذيفة - يعنى ابن اليمان - رضى الله عنه حدثه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِمَّا أتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قرأ القُرْآنَ حتَّى إذا رُؤيت بَهْجَتُهُ عليه ، وكانَ رِداؤه الإسلامَ اعتراهُ إلى ما شاءَ اللهُ ، انْسَلَخَ مِنه ونبذه وراءَ ظهره وسَعَى على جاره بالسَّيفِ ورماه بالشِّرْكِ » . قال : قلتُ يا نبيَّ الله أيُّهُمَا أوْلَى بالشِّرْكِ المرمِى أو الرَّامِي؟ قال : « بل الرَّامي » . هذا إسناد جيد . والصلت بن بهرام كان من ثقات الكوفيين ، ولم يرم بشيء سوى الإرجاء ، وقد وثقه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما .

وقوله تعالى : **(ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه)** يقول تعالى : **(ولو شئنا لرفعناه بها)** أى لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التى آتيناه إياها . **(ولكنه أخلد إلى الأرض)** أى مال إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها ، وأقبل على لذاتها ونعيمها ، وغَرَّتْهُ كما غَرَّتْ غيره من أولى البصائر والنُّهى[1] . وقال ابن الراهوية فى قوله تعالى (ولكنة أخلد إلى الأرض) قال : ترامى له الشيطان على علوة من قنطرة بانياس فسجدت الحمارة لله وسجد بلعام للشيطان . وكذا قال عبدالرحمن ابن جبير بن نفير وغير واحد .

وقال الإمام أبوجعفر بن جرير رحمه الله : وكان من قصة هذا

---

١ - البصائر : مفردها بصيرة ؛ رؤية القلب . والنُّهى : العقول . واحدها نُهْيَة .

الرجل ما حدثنا محمد بن عبدالأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه أنه سُئل في هذه الآية (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا) فحدَّث عن سيَّار أنه كان رجلاً يقال له بلعام ، وكان مجاب الدعوة . قال : وإن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام ، أو قال الشام ، فرعب الناس منه رعبًا شديدًا . فأتوا بلعام ، فقالوا : ادع الله على هذا الرجل وجيشه . قال : حتى أُؤامِرَ ربي[1] ، أو حتى أُؤامرَ . قال : فآمَر في الدعاء عليهم ، فقيل له : لا تدع عليهم ؛ فإنهم عبادي ، وفيهم نبيهم . قال : فقال لقومه إني قد آمرت ربي في الدعاء عليهم وإني قد نُهيتُ . فأهدوا له هدية فقبلها . ثم راجعوه ، فقالوا : ادع عليهم . فقال : حتى أُؤامِرَ ربي فآمر ، فلم يأمره بشيء . فقال : قد وامرت فلم يأمرني بشيء . فقالوا : لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك المرة الأولى . قال فأخذ يدعو عليهم ، فإذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه ، وإذا أراد أن يدعو أن يفتح لقومه دعا أن يفتح لموسى وجيشه أو نحوًا من ذلك إن شاء الله . قال فقالوا : ما نراك تدعو إلا علينا . قال : ما يجري على لساني إلا هكذا ، ولو دعوت عليه أيضًا ما استجيب لي ، ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم ؛ إن الله يبغض الزنا ، وإنهم إن وقعوا في الزنا هلكوا ورجوت أن يهلكهم الله ، فأخرجوا النساءَ تستقبلهم ؛ فإنهم قوم مسافرون ، فعسى أن يزنوا فيهلكون . قال ففعلوا ؛ فأخرجوا

---

١ - يعني أشاوره ؛ آمَرَ فلانًا في الأمر يُؤامِرُهُ مُؤامَرَةً : شاوره .

النساء تستقبلهم . قال وكان للملك ابنة ، فذكر من عِظَمِها ما الله أعلم به . قال فقال أبوها أو بلعام : لا تمكنى نفسك إلا من موسى . قال ووقعوا فى الزنا . قال فأتاها رأس سبط من أسباط بنى إسرائيل ، فأرادها على نفسها ، فقالت : ما أنا بممكنة نفسى إلا من موسى . فقال : إن منزلتى كذا وكذا ، وإن من حالى كذا وكذا . فأرسلت إلى أبيها تستأمره[1] . قال فقال لها : مكنيه . قال ويأتيهما رجل من بنى هارون ومعه الرمح فيطعنهما . قال وأيده الله بقوة فانتظمهما جميعًا ، ورفعهما على رمحه ، فرآهما الناس - أو كما حَدَّثَ - قال وسلط الله عليهم الطاعون فمات سبعون ألفًا .

قال أبوالمعتمر فحدَّثنى سَيَّار أن بلعامًا ركب حمارة له حتى أتى المعلولى ، أو قال طريقًا من المعلولى ، جعل يضربها ولا تتقدم وقامت عليه فقالت : علام تضربنى؟ أما ترى هذا الذى بين يديك؟ فإذا الشيطان بين يديه . قال فنزل وسجد له . قال الله تعالى : (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) إلى قوله (لعلهم يتذكرون) . قال فحدثنى بهذا سيار ولاأدرى لعله قد دخل فيه شىء من حديث غيره .

(قلت) : هو بلعام ، ويقال بلعم بن باعوراء ، ويقال ابن ابر ، ويقال ابن باعور بن شهتوم بن قوشتم بن ماب بن لوط بن هاران ويقال ابن حران بن آزر . وكان يسكن قرية من قرى البلقاء . قال ابن

---

١ - تطلب أمره .

عساكر : وهو الذى كان يعرف اسم الله الأعظم ، فانسلخ من دينه ، له ذِكْرٌ فى القرآن . ثم أورد من قصته نحوًا مما ذكرنا ههنا ، أورده عن وهب وغيره . والله أعلم .

وقال محمد بن إسحق بن يسار عن سالم أبى النضر أنه حُدِّثَ أن موسى عليه السلام لما نزل فى أرض بنى كنعان من أرض الشام أتى قومُ بلعام إليه ، فقالوا له : هذا موسى بن عمران فى بنى إسرائيل قد جاء يُخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنى إسرائيل ، وإنا قومك ، وليس لنا منزل ، وأنت رجل مجابُ الدعوة ، فاخرجْ فادعُ الله عليهم . قال : ويلكم ، نبى الله معه الملائكة والمؤمنون ، كيف أذهب أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم؟ قالوا : ما لنا من منزل ، م يزالوا به يُرَقِّقُونه ويتضرعون إليه حتى فتنوه ، فافتُتِنَ . فركب حمارة له متوجهًا إلى الجبل الذى يُطلعه على عسكر بنى إسرائيل ؛ وهو جبل حسبان . فلما سار عليها غير كثير ربضت به ، فنزل عنها ، فضربها حتى إذا أزلقها قامت ، فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ، فضربها حتى إذا أزلقها أذن لها ، فكلمته حجةً عليه فقالت : ويحك يا بلعم ، أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامى تردنى عن وجهى هذا؟ تذهب إلى نبى الله والمؤمنين لتدعو عليهم !! فلم ينزع عنها ، فضربها ، فخلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك . فانطلقت به حتى إذا أشرفت به على رأس حسبان على عسكر موسى وبنى إسرائيل جعل يدعو عليهم ، ولا يدعو عليهم بشر إلا صرف الله

لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بنى إسرائيل . فقال له قومه : أتدرى يا بلعم ما تصنع؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا !! قال : فهذا ما لا أملك ، هذا شيء قد غَلَبَ الله عليه . قال واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم قد ذهبت من الآن الدنيا والآخرة ، ولم يبق إلا المكر والحيلة ، فسأمكر لكم وأحتال ؛ جمّلوا النساء ، وأعطوهن السلع ، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعنها فيه ، ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها ؛ فإنهم إن زنى رجل منهم واحد كُفيتموهم . ففعلوا . فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كسبتي - ابنة صور رأس أمته - برجل من عظماء بنى إسرائيل ؛ وهو زمرى بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام . فلما رآها أعجبته ، فقام فأخذ بيدها وأتى بها موسى وقال : إنى أظنك ستقول هذا حرامٌ عليك فلا تقربْها . قال : أجل ، هى حرام عليك . قال : فوالله لا أطيعك فى هذا . فدخل بها قبته ، فوقع عليها . وأرسل الله عز وجل الطاعون فى بنى إسرائيل . وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى ، وكان غائبًا حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع ، فجاء والطاعون يجوس فيهم ، فأُخبر الخبر ، فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ، ثم دخل القبة وهما متضاجعان ، فانتظمهما بحربته ، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة إلى لحيته ، وكان

بكر العيزار ، وجعل يقول : اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ، ورُفع الطاعون ، فحسب من هلك من بنى إسرائيل فى الطاعون فيما بين أن أن أصاب زمرى المرأة إلى أن قتله فنحاص فوجدوه قد هلك منهم سبعون ألفًا ، والمقلل لهم يقول عشرون ألفًا ، فى ساعة من النهار . فمن هنالك تعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها الرقبة والذراع واللحى والبكر من كل أموالهم وأنفسها لأنه كان بكر أبيه العيزار . ففى بلعام بن باعوراء أنزل الله (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) إلى قوله : (لعلهم يتفكرون) .

وقوله تعالى : **(فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث)** . اختلف المفسرون فى معناه ؛ فعلى سياق ابن إسحق عن سالم عن أبى النضر أن بلعامًا اندلع لسانه على صدره فتشبيهه بالكلب فى لهيثه[1] فى كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك ظاهر . وقيل : معناه فصار مثله فى ضلاله واستمراره فيه وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدم الدعاء كالكلب فى لهيثه فى حالتيه ؛ إن حملت عليه ، وإن تركته ، هو يلهث فى الحالين ، فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولا عدمه كما قال تعالى : (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ)[2] ، (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ

---

١ - لَهِثَ الكلبُ : أخرج لسانه من حر أو عطش أو إعياء . واللُّهاثُ : حَرُّ العطش .
٢ - البقرة من الآية ٦ .

تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)(١) . ونحو ذلك .

وقيل معناه أن قلب الكافر والمنافق والضال ضعيف ، فارغ من الهدى ، فهو كثير الوجيب(٢) .

فعبر عن هذا بهذا . نُقل نحوه عن الحسن البصرى وغيره .

وقوله تعالى : **(فاقصص القصص لعلهم يتفكرون)** .

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم **(فاقصص القصص لعلهم)** أى لعل بنى إسرائيل العالمين بحال بلعام وما جرى له فى إضلال الله إياه ، وإبعاده من رحمته بسبب أنه استعمل نعمة الله عليه فى تعليمه الاسم الأعظم الذى إذا سُئل به أعطى وإذا دُعى به أجاب ، فى غير طاعة ربه ، بل دعا به على حزب الرحمن وشعب الإيمان ؛ أتباع عبده ورسوله فى ذلك الزمان ؛ كليم الله موسى بن عمران عليه السلام . ولهذا قال : **(لعلهم يتفكرون)** أى فيحذروا أن يكونوا مثله ، فإن الله قد أعطاهم علمًا ، وميزهم على من عداهم من الأعراب ، وجعل بأيديهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، يعرفونها كما يعرفون أبناءهم ، فهم أحق الناس وأولاهم باتباعه ومناصرته ومؤازرته كما أخبرتهم أنبياؤهم بذلك وأمرتهم به . ولهذا من خالف منهم ما فى كتابه وكتمه فلم يُعلم به العبادَ أحل الله به

---

١ ـ التوبة من الآية ٨٠ .

٢ ـ الوجيب : الاضطراب ؛ وَجَبَ القلبُ وجيبًا : خَفَقَ وَرَجَفَ واضطرب .

ذلاً فى الدنيا موصولاً بذلّ الآخرة .

وقوله : (ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا) . يقول تعالى ساء مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ؛ أى ساء مثلهم أن شُبِّهوا بالكلاب التى لا همَّةَ لها إلا فى تحصيل أكل أو شهوة . فمن خرج عن حيز العلم والهدى ، وأقبل على شهوة نفسه ، واتَّبَعَ هواه ، صار شبيهًا بالكلب . وبئس المثل مثله . ولهذا ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس لنا مَثَلُ السَّوءِ العائد فى هبتِهِ كالكلبِ يعودُ فى قَيْئِه » .

وقوله : (أنفسهم يظلمون) . أى ما ظلمهم الله ، ولكن هم ظلموا أنفسهم بإعراضهم عن اتباع الهدى وطاعة المولى ، إلى الركون إلى دار البلى والإقبال على تحصيل اللذات وموافقة الهوى .

[مثل عيسى عند الله]

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾

آل عمران ٥٩ ، ٦٠ .

يقول جل وعلا : **(إن مثل عيسى عند الله)** في قدرة الله ؛ حيث خلقه من غير أب **(كمثل آدم)** حيث خلقه من غير أب ولا أم، بل **(خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)** . فالذى خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأَوْلَى والأَحْرَى . وإن جاز ادعاء البنوة فى عيسى لكونه مخلوقًا من غير أب فجواز ذلك فى آدم بالطريق الأولى ، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل ، فدعواه فى عيسى أشد بطلانًا وأظهر فسادًا . ولكنَّ الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى ، ولهذا قال تعالى فى سورة مريم : (وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ)[1] . وقال ههنا : **(الحق مت ربك فلا تكن من الممترين)** . أى هذا هو القول الحق فى عيسى الذى لا محيد عنه ولا صحيح سواه . وماذا بعد الحق إلا الضلال؟! .

---

١ ـ من الآية ٢١ .

[مثل الحياة الدنيا ١]

> إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

يونس ٢٤ .

ضرب تبارك وتعالى مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذى أخرجه الله من الأرض بماء أنزل من السماء ؛ مما يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها ، وما تأكل الأنعام من أبٍّ وقَضْبٍ وغير ذلك . **(حتى إذا أخذتِ الأرضُ زخرفها)** أى زينتها الفانية . **(وازَّيَّنَتْ)** أى حَسُنت بما خرج فى رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان . **(وظن أهلها)** الذين زرعوها وغرسوها . **(أنهم قادرون عليها)** أى على جذاذها وحصادها .

فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة باردة ، فأيبست أوراقها ، وأتلفت ثمارها ، ولهذا قال تعالى : **(أتاها أمرنا**

ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدًا) أى يابسًا بعد الخضرة والنضارة . (كأن لم تغن بالأمس) أى كأنها ما كانت حينًا قبل ذلك .

وقال قتادة : كأن لم تغن : كأن لم تنعم ،وهكذا الأمور بعد زوالها ، كأنها لم تكن . ولهذا جاء فى الحديث « يُؤْتَى بأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا فيُغْمَسُ فِى النَّارِ غَمْسَةً فيُقالُ له : هل رأيتَ خيرًا قَطّ؟ هل مر بك نعيمٌ قَطّ؟ فيقول لا . ويُؤْتَى بأشدِّ الناسِ عذابًا فى الدنيا فيُغْمَسُ فى النَّعيمِ غَمْسَةً ثم يقالُ له : هل رأيت بُؤْسًا قَطّ؟ فيقول لا » . وقال تعالى إخبارًا عن المهلَكين : (فَأَصْبَحوا فِى دِيارِهِم جاثمين كأنْ لَمْ يَغْنَوا فيهَا)(1) .

ثم قال تعالى : **(كذلك نفصل الآيات)** أى نُبيِّن الحجج والأدلة . **(لقوم يتفكرون)** فيعتبرون بهذا المثل فى زوال الدنيا عن أهلها سريعًا مع اغترارهم بها وتمكنهم وثقتهم بمواعيدها ونقلتها عنهم ؛ فإن من طبعها الهرب ممن طلبها ، والطلب لمن هرب منها .

وقد ضرب الله تعالى مثل الدنيا بنبات الأرض فى غير ما آية من كتابه العزيز ؛ فقال فى سورة الكهف(2) : (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ، وكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ مُقْتَدِرًا) . وكذا فى سورة

---

١ ـ هود من الآيتين ٦٧ ، ٦٨ ، وكذلك ٩٤ ، ٩٥ .

٢ ـ الآية ٤٥ .

الزمر[1] ، والحديد[2] ، يضرب الله بذلك مثل الحياة الدنيا .

وقال ابن جرير ، حدثني الحارث حدثنا عبدالعزيز ابن عُيَيْنَة عن عمرو بن دينار عن عبدالرحمن بن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث ابن هشام قال : سمعت مروان - يعني ابن الحكم - يقرأ على المنبر : وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ، وَمَا كَانَ لِيُهْلِكَهُمْ إِلاَّ بِذُنُوبِ أَهْلِهَا . قال قد قرأتها وليست في المصحف . فقال عباس بن عبدالله ابن عباس : هكذا يقرؤها ابن عباس . فأرسلوا إلى ابن عباس ، فقال : هكذا أقرأني أُبَيُّ بنُ كعب . وهذه قراءة غريبة ، وكأنها زيدت للتفسير[3] .

---

١ - الآية ٢١ . قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ) .

٢ - الآية ٢٠ قوله تعالى : (اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ) .

٣ - يعني قوله : « وما كان ليهلكهم إلا بذنوب أهلها ».

[مثل الحياة الدنيا ٢]

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

الكهف ٤٥ .

يقول تعالى : **(واضرب)** يا محمد للناس **(مثل الحياة الدنيا)** في زوالها وفنائها وانقضائها **(كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض)** أي ما فيها من الحب فشبَّ وحَسُنَ وعلاه الزهرُ والنَّوْر والنُّضْرَةُ ، ثم بعد هذا كله **(أصبح هشيمًا)** يابسًا **(تذروه الرياح)** أي تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال . **(وكان الله على كل شيء مقتدرًا)** أي هو قادر على هذه الحال وهذه الحال .

وكثيرًا ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل ؛ كما قال تعالى في سورة يونس : (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ)... الآية[1] .

وقال في سورة الزمر : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ)... الآية[2] . وقال

١ ـ آية ٢٤ .

٢ ـ آية ٢١ .

في سورة الحديد : (اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ)... الآية[1] . وفي الحديث الصحيح : « الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حلْوَةٌ » .

١ ـ آية ٢٠ .

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

الحديد ٢٠ .

يقول تعالى مُوهناً أمر الحياة الدنيا ومُحَقِّرًا لها : (..**إنما الحياة الدنيا لَعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد**) . أى إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا . كما قال تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)(١) .

ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا فى أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال : (**كمثل غيث**) وهو المطر الذى يأتى بعد قنوط الناس كما قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا)(٢) .

---

١ ـ آل عمران ١٤ .

٢ ـ الشورى من الآية ٢٨ .

وقوله تعالى : (**أعجب الكفار نباته**) أى يُعْجِبُ الزراع نباتُ ذلك الزرع الذى نبت بالغيث . وكما يُعجِبُ الزُّرَّاعَ ذلك كذلك تُعْجِبُ الحياةُ الدُّنْيَا الكُفَّارَ ؛ فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها .

(**ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا**) أى يَهِـيْجُ ذلك الزرع فتراه مُصْفَرًّا بعدما كان خَضِرًا نَضِرًا . ثم يكون بعد ذلك كله حُطَامًا ؛ أى يصير يبسًا مُتحطمًا . هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة ، ثم تكتهل ، ثم تكون عجوزًا شوهاء . والإنسان يكون كذلك فى أول عمره وعنفوان شبابه ؛ غَضًّا طريًا لَيِّنَ الأعطاف بَهِيَّ المنظر ، ثم إنه يشرع فى الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ، ثم يكبر فيصير شيخًا كبيرًا ضعيف القوى ، قليل الحركة ، يعجزه الشيء اليسير كما قال تعالى : (اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ العَلِيمُ القَدِيرُ)(١) .

ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة ؛ وأن الآخرة كائنة لا محالة ، حَذَّرَ مِنْ أمرها ، ورَغَّبَ فيما فيها من الخير ، فقال : (**وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**) . أى وليس فى الآخرة الآتية القريبة إلاَّ إمَّا هذا وإمَّا هذا ؛ إمَّا عذابٌ شديد ، وإما مغفرةٌ من الله ورضوان . وقوله تعالى : (وما الحياة

---
١ - الروم ٥٤ .

الدنيا إلا متاع الغرور) أى هى متاع فانٍ غار لمن ركن إليه ؛ فإنه يَغْتَرُّ بها ، وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها ، وهى حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة .

قال ابن جرير حَدَّثنا علىُّ بن حرب الموصلى حَدَّثنا المحاربى حَدَّثنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَوْضِعُ سَوْطٍ فِى الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، اقْرَءُوا (وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ). » . وهذا الحديث ثابت فى الصحيح بدون هذه الزيادة والله أعلم .

وقال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير ووكيع كلاهما عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اَلْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ والنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ» . انفرد بإخراجه البخارى فى الرِّقاق من حديث الثورى عن الأعمش به . ففى هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان .

[الحق والباطل]

أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧)

الرعد ١٧ .

اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحقّ في ثباته وبقائه ، والباطل في اضمحلاله وفنائه . فقال تعالى : (أنزل من السماء ماءً) أي مطرًا . (فسالت أودية بقدرها) أي أخذ كل واد بحسبه ؛ فهذا كبير وسع كثيرًا من الماء ، وهذا صغير وسع بقدره . وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها ؛ فمنها ما يسع علمًا كثيرًا ، ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم ، بل يضيق عنها . (فاحتمل السيل زبدًا رابيًا) أي فجاء على وجه الماء الذي سال في هذه الأودية زبد عال عليه . هذا مثل .

وقوله : (ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع)... الآية . هذا هو المثل الثاني . وهو ما يُسبك في النار من ذهب أو فضة ابتغاء حلية ؛ أي ليجعل حلية ، أو نحاسًا أو حديدًا

فيجعل متاعًا ؛ فإنه يعلوه زبد منه كما يعلو ذلك زبد منه . **(كذلك يضرب الله الحق والباطل)** أى إذا اجتمعا ، لا ثبات للباطل ولا دوام له ، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء ولا مع الذهب والفضة ونحوهما مما يسبك فى النار ، بل يذهب ويضمحل . ولهذا قال : **(فأما الزبد فيذهب جفاء)** أى لا يُنتفع به ، بل يتفرق ويتمزق ويذهب فى جانبى الوادى ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح . وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس ؛ يذهب ولا يرجع منه شىء ولا يبقى إلا الماء .

وذلك الذهب ونحوه يُنتفع به ، ولهذا قال : **(وأما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال)**. كقوله تعالى : (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ)[1] . وقال بعض السلف كنت إذا قرأت مثلاً من القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسى لأن الله تعالى يقول : (وما يعقلها إلا العالمون). قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى : **(أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها)**... الآية. هذا مثل ضربه الله ، احتملت منه القلوب على قَدْرِ يقينها وشكِّها، فأما الشكُّ فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله. وهو قوله **(فأما الزبد)** وهو الشك **(فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض)** وهو اليقين. وكما يجعل الحلى فى النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه

---

١ - العنكبوت ٤٣ .

فى النار فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك.

وقال العوفى عن ابن عباس قوله : **(أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدًا رابيًا)** يقول احتمل السيل ما فى الوادى من عود ودمنة . **(ومما يوقدون عليه فى النار)** فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد ؛ فللنحاس والحديد خبث ، فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء . فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة ، وأما ما ينفع الأرض فما شَرِبَتْ من الماء فأنبتت ، فجعل ذلك مثل العمل الصالح ؛ يبقى لأهله . والعمل السىء يضمحل عن أهله كما يذهب هذا الزبد . وكذلك الهدى والحق ؛ جاءا من عند الله ، فمن عمل بالحق كان له ويبقى كما بقى ما ينفع الناس فى الأرض . وكذلك الحديد لا يستطاع أن يُعمل منه سكين ولا سيف حتى يدخل فى النار فتأكل خبثه ويخرج جيده فيُنتفع به ، فكذلك يضمحل الباطل ، فإذا كان يوم القيامة ، وأقيم الناس ، وعُرضت الأعمال ، فيَزيغُ الباطلُ ويهلك ، وينتفع أهل الحق بالحق . وهكذا رُوى فى تفسيرها عن مجاهد والحسن البصرى وعطاء وقتادة وغير واحد من السلف والخلف .

وقد ضرب سبحانه وتعالى فى أول سورة البقرة للمنافقين مثلين ؛ ناريًا ، ومائيًا . وهما قوله : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ)... الآية[1] . ثم قال : (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ

١ - آية ١٧ وما بعدها .

ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ)...الآية[1] . وهكذا ضرب للكافرين في سورة النور مثلين؛ أحدهما قوله : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ)...الآية[2] . والسراب إنما يكون في شدة الحر . ولهذا جاء في الصحيحين « فَيُقَالُ لِليَهُودِ يَوْمَ القِيامَةِ : فَما تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ : أَيْ رَبَّنَا عَطِشْنَا فاسْقِنَا . فيُقالُ : أَلاَ تَرِدُون؟ فَيَرِدُونَ النَّارَ ، فَإِذَا هِيَ كَسَرَابٍ يحطمُ بَعْضُهَا بَعْضًا » . ثم قال تعالى في المثل الآخر : (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ)... الآية[3] .

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ مثلَ ما بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلْمِ كَمثلِ غَيْثٍ أصابَ أرْضًا فكانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتْ الماءَ فَأَنْبَتَت الكَلأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ ، وكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَت الماءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَرَعَوا وَسَقَوا وَزَرَعُوا . وَأَصَابَتْ طائفة مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مثلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ اللهُ بِمَا بَعَثَنِي وَنَفَعَ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، ومثلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ » . فهذا مثل مائي .

وقال في الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق

---

١ ـ آية ١٩ وما بعدها .

٢ ـ آية ٣٩ .

٣ ـ آية ٤٠ .

حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبوهريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نارًا فَلَمَّا أضَاءَتْ ما حَوْلَهُ جَعَلَ الفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي يَقَعْنَ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا وَجَعَلَ يَحْجِزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فيها - قال - فَذَلكم مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ أنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ فَتَغْلِبُونِي فَتَقْتَحِمُونَ فِيهَا » . وأخرجاه في الصحيحين أيضًا . فهذا مثل ناري .

[الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة]

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾

إبراهيم ٢٤ : ٢٦ .

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله **(مثل كلمة طيبة)** شهادة أن لا إله إلا الله **(كشجرة طيبة)** وهو المؤمن . **(أصلها ثابت)** يقـــول : لا إله إلا الله فى قلب المؤمن . **(وفرعها فى السماء)** يقول : يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء . وهكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وغير واحد إن ذلك عبارة عن عمل المؤمن ، وقوله الطيب ، وعمله الصالح . وإن المؤمن كشجرة من النخل لا يزال يُرفع له عمل صالح فى كل حين ووقت وصباح ومساء .

وهكذا رواه السدى عن مرة عن ابن مسعود قال : هى النخلة . وشعبة عن معاوية بن قرة عن أنس : هى النخلة . وحماد بن سلمة عن شعيب بن الحبحاب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أتى بقناعِ بُسْرٍ فقرأ : (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) قال : هى النخلة . ورُوى من هذا الوجه ومن غيره عن أنس موقوفًا . وكذا نص عليه مسروق ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وغيرهم .

وقال البخارى : حدثنا عبيد بن إسماعيل عن أبى أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أَخْبِرُونِى عَنْ شَجَرَةٍ تُشْبِهُ - أو - كَالرَّجُلِ المُسْلِمِ ؛ لا يتحات وَرَقُها صَيْفًا ولا شِتَاءً ، وَتُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا » . قال ابن عمر : فوقع فى نفسى أنها النخلة . ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان ، فكرهت أن أتكلم . فلما لم يقولوا شيئًا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هِيَ النَّخْلَةُ » . فلما قمنا قلت لعمر : يا أبتاه والله لقد كان وقع فى نفسى أنها النخلة . قال : ما مَنَعَكَ أن تَتَكَلَّمَ؟ قلتُ : لم أرَكُمْ تتكلمونَ فَكَرِهْتُ أنْ أتكلمَ أو أقولَ شيئًا . قال عمر : لأنْ تَكُونَ قُلْتَها أحَبُّ إلىَّ مِنْ كذا وكذا .

وقال أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد صَحِبْتُ ابنَ عمر إلى المدينة فلم أسمعه يُحَدِّثُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثاً واحدًا ؛ قال كنا عندَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بجمار فقال : « مِن الشَّجرِ شجرةٌ مثلُها مثلُ الرجلِ المُسْلِمِ » . فأردتُ أنْ أقولَ هى النخلةُ ، فنظرتُ فإذا أنا أصغرُ القومِ فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « هى النخلة » . أخرجاه .

وقال مالك وعبدالعزيز عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً لأصحابه : « إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يُطْرَحُ وَرَقُها مثلُ المؤمنِ » . قال : فوقع الناسُ فى شجر البوادى ، ووقعَ فى قلبى أنها النخلة ، فاستحييتُ حتَّى قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « هى النخلة » . أخرجاه أيضًا .

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبان - يعنى ابن زيد العطار - حدثنا قتادة أن رجلاً قال : يا رسول الله ذهب أهلُ الدُّثُورِ بالأجُورِ . فقال : «أرأيتَ لو عمدَ إلى متاعِ الدُّنيا فركَّبَ بَعْضَه على بَعْضٍ أكان يَبلُغُ السَّماء؟ أفلا أُخْبِرك بِعَملٍ أصلُهُ فى الأرضِ وفَرْعُهُ فى السَّمَاء؟ قال : ما هو يا رسول الله؟ قالَ تقُولُ : لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ ، واللَّهُ أكْبَرُ ، وَسُبْحانَ اللَّهِ ، والحَمْدُ لِلَّهِ . عشرَ مراتٍ فى دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ . فذَاكَ أصلُهُ فى الأرضِ وفرعُهُ فى السَّماءِ» .

وعن ابن عباس (كشجرة طيبة) قال : هى شجرة فى الجنة . وقوله : (تؤتى أكلها كل حين) قيل غدْوَةً وعَشيًا . وقيل كل شهرين . وقيل كل ستة أشهر . وقيل كل سبعة أشهر . وقيل كل سنة . والظاهر من السياق أن المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر فى كل وقت ، من صيف أو شتاء ، أو ليل أو نهار . كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناءَ الليل وأطرافَ النهار ، فى كل وقت وحين .

(بإذن ربها) : أى كاملاً حسنًا كثيرًا طيبًا مباركًا **(ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون)** .

(ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) : هذا مثل كفر الكافر ؛ لا أصل له ، ولا ثبات له ، مشبه بشجرة الحَنْظَل ويقال لها الشّريان . رواه شعبة عن معاوية بن أبى قرة عن أنس بن مالك أنها شجرة الحنظل . وقال أبوبكر البزار الحافظ حدثنا يحيى بن محمد السكن حدثنا أبوزيد سعيد بن الربيع حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس أحسبه رفعه قال **(مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة)** قال : هى النخلة . **(ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة)** قال : هى الشّريان . ثم رواه عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة عن معاوية عن أنس موقوفًا . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد - هو ابن سلمة - عن شعيب بن الحبحاب عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) : « هى الحنظلة » . فأخبرت بذلك أبا العالية فقال : هكذا كنا نسمع . ورواه ابن جرير من حديث حماد بن سلمة . ورواه أبويعلى فى مسنده بأبسط من هذا فقال حدثنا غسان عن حماد عن شعيب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقناع عليه بُسْرٌ فقال : **(مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها)** فقال : « هى النخلة » . (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق

الأرض ما لها من قرار) قال : « هى الحنظل » . قال شعيب فأخبرت بذلك أباالعالية فقال : كذلك كنا نسمع .

وقوله (اجتثت) : أى استؤصلت . (من فوق الأرض ما لها من قرار) : أى لا أصل لها ولا ثبات . كذلك الكفر ؛ لا أصل له ولا فرع ، ولا يصعد للكافر عمل ، ولا يُتَقَبَّلُ منه شىء .

[ما يعبدون من دون الله ١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾

الحج ٧٣ ، ٧٤ .

يقول الله تعالى منبهاً على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها : (يا أيها الناس ضرب مثل) أى لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به . (فاستمعوا له) أى أنصتوا وتفهموا . (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له) أى لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك ؛ كما قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة مرفوعًا قال : « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا مِثْلَ خَلْقِي ذَرَّةً أَوْ ذُبَابَةً أَوْ حَبَّةً » . وأخرجه صاحبا الصحيح من طريق عمارة عن أبى زرعة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ

ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً فَلْيَخْلُقُوا شَعِيرَةً » .

ثم قال تعالى أيضًا : (**وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه**) . أي هم عاجزون عن خلق ذباب واحد ، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئًا من الذي عليها من الطيب ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك . هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها . ولذا قال : (**ضعف الطالب والمطلوب**) . قال ابن عباس : الطالبُ الصنم ، والمطلوب الذباب ، واختاره ابن جرير ، وهو ظاهر السياق . وقال السدى وغيره : الطالبُ العابد ، والمطلوب الصنم .

ثم قال : (**ما قدروا الله حق قدره**) . أى ما عرفوا قَدْرَ الله وعظمته حين عبدوا معه غيره من هذه التى لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها . (**إن الله لقوى عزيز**) أى هو القوى الذى بقدرته وقوته خلق كل شىء . (وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ)(1) . (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ)(2) . (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)(3) .

وقوله : (**عزيز**) : أى قد عَزَّ كُلَّ شىء فقهره وغلبه ، فلا يُمَانَعُ ، ولا يُغَالَبُ لعظمته وسلطانه وهو الواحد القهار .

---

١ - الروم من الآية ٢٧ .

٢ - البروج ١٢ ، ١٣ .

٣ - الذاريات ٥٨ .

[ما يعبدون من دون الله ٢]

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ (٤٣) خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٤٤)

العنكبوت ٤١ : ٤٣ .

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين فى اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم فى الشدائد ؛ فهم فى ذلك كبيت العنكبوت فى ضعفه ووهنه . فليس فى أيدى هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت ؛ فإنه لا يجدى عنه شيئًا . فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء . وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه وهو مع ذلك يحسن العمل فى اتباع الشرع ، فإنه متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقوتها وثباتها .

ثم قال تعالى متوعدًا لمن عبد غيره فأشرك به إنه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال ، ويعلم ما يشركون به من الأنداد ، وسيجزيهم وصفهم ، إنه حكيم عليم .

ثم قال تعالى : (وتلك الأمثال نضربها للناس وما

يعقلها إلا العالمون) أى : وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون فى العلم المتضلعون منه . قال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى حدثنى ابن لهيعة عن أبى قبيل عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : عقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل . وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص رضى الله عنه ؛ حيث يقول الله تعالى : (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) . قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أحمد بن عبدالرحمن حدثنا أبى حدثنا ابن سنان عن عمرو بن مرة قال : ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزننى لأنى سمعت الله تعالى يقول : (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) .

[مثل نوره كمشكاة فيها مصباح]

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

النور ٣٥ .

قال علىُّ بن أبى طلحة عن ابن عباس : **(الله نور السموات والأرض)** يقول هادى أهل السموات والأرض . قال ابن جريج قال مجاهد وابن عباس فى قوله (الله نور السموات والأرض) يدبر الأمر فيهما ؛ نجومهما وشمسهما وقمرهما . وقال ابن جرير حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرَّقِّى حدثنا وهب بن راشد عن فرقد عن أنس بن مالك قال : إن الله يقول نُورِى هُدًى . واختار هذا القول ابنُ جرير .

وقال أبوجعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أُبَىٍّ بن كعب فى قوله تعالى (الله نور السموات والأرض مثل نوره) قال هو المؤمن الذى جعل الله الإيمان والقرآن فى صدره ، فضرب الله مثله فقال (الله نور السموات والأرض) فبدأ بنور نفسه ، ثم

ذكر نور المؤمن فقال : مثل نور من آمن به . قال : فكان أُبَىُّ بن كعب يقرؤها (مثل نور من آمن به) . فهو المؤمن جعل الإيمان والقرآن فى صدره . وهكذا رواه سعيد بن جبير وقيس بن سعد عن ابن عباس أنه قرأها كذلك : (مثل نور من آمن بالله) . وقرأ بعضهم : (الله مُنَوِّرُ السموات والأرض) . وعن الضحاك : (الله نَوَّرَ السموات والأرض) وقال السدى فى قوله (الله نو ر السموات والأرض) فبنوره أضاءت السموات والأرض .

وفى الحديث الذى رواه محمد بن إسحق فى السيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى دعائه يوم آذاه أهل الطائف : « أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِى أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيهِ أَمْرُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ أَنْ يَحِلَّ بِى غَضَبُكَ أَوْ يَنْزِلُ بِى سَخَطُكَ لَكَ العُتْبَى حَتَّى تَرْضَى وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ » . وفى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يقول : « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ..» الحديث . وعن ابن مسعود قال : إن ربَّكم ليس عنده ليلٌ ولا نهار ، نور العرش من نور وجهه .

وقوله تعالى : **(مثل نوره)** . فى هذا الضمير قولان ؛ أحدهما : أنه عائد إلى الله عز وجل ؛ أى مثل هداه فى قلب المؤمن . قاله ابن عباس **(كمشكاة)** . والثانى : أن الضمير عائد إلى المؤمن الذى دل

عليه سياق الكلام تقديره مثل نور المؤمن الذى فى قلبه كمشكاة .
فشبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه كما قال تعالى : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ)(١) . فشبه قلب المؤمن فى صفائه فى نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهرى ، وما يستهديه من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافى المشرق المعتدل الذى لا كدر فيه ولا انحراف . فقوله (كمشكاة) قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغير واحد : هو موضع الفتيلة من القنديل . هذا هو المشهور .
ولهذا قال بعده : (فيها مصباح) وهو الذُّبالة التى تضىء .

وقال العوفىُّ عن ابن عباس قوله (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة) وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم كيف يخلص نور الله من دون السماء ؛ فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال تعالى : (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة) . والمشكاة : كُوَّةٌ فى البيت . قال وهو مثل ضربه الله لطاعته ؛ فسمى الله طاعته نورًا ، ثم سماها أنواعًا شتى . وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد : هى الكوة بلغة الحبشة . وزاد بعضهم فقال : المشكاة الكوة التى لا منفذ لها . وعن مجاهد : المشكاة الحدائد التى يعلق بها القنديل . والقول الأول أولى وهو أن المشكاة هو موضع الفتيلة من القنديل . ولهذا قال : (فيها مصباح) وهو النور الذى فى

١ - هود من الآية ١٧ .

الزُّبالة . قال أبيّ بن كعب : المصباح النور ؛ وهو القرآن والإيمان الذى فى صدره . وقال السُّدِّيُّ هو السراج.

(المصباح فى زجاجة) أى هذا الضوء مشرق فى زجاجة صافية . وقال أبيّ بن كعب وغير واحد : وهى نظير قلب المؤمن .

(الزجاجة كأنها كوكب درى) قرأ بعضهم بضم الدال من غير همزة ، من الدُّرِّ ، أى كأنها كوكب من دُرٍّ . وقرأ آخرون درىء ، بكسر الدال وضمها مع الهمزة ، من الدَّرْءِ وهو الدفع ؛ وذلك أن النجم إذا رُمى به يكون أشد استنارة من سائر الأحوال . والعرب تسمى ما لا يُعرف من الكواكب درارى . قال أبيّ بن كعب : كوكب مضىء . وقال قتادة : مضىء مبين ضخم .

(يوقد من شجرة مباركة) أى يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة .

(زيتونة) بدل ، أو عطف بيان .

(لا شرقية ولا غربية) أى ليست فى شرقى بقعتها فلا تصل إليها الشمس من أول النهار ، ولا فى غربيها فيقلص عنه الفىء قبل الغروب ، بل هى فى مكان وسط تعصرها الشمس من أول النهار إلى آخره فيجىء زيتها صافيًا معتدلاً مشرقًا . وروى ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عمار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبدالله بن سعد أخبرنا عمرو بن أبى قيس عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله : (زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال هى شجرة

بالصحراء لا يظلها شجر ولا جبل ولا كهف ولا يواريها شيء وهى أجود لزيتها .

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبونعيم حدثنا عمرو بن فروخ عن حبيب بن الزبير عن عكرمة وسأله رجل عن قوله تعالى (زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال : تلك زيتونة بأرض فلاة إذا أشرقت الشمس أشرقت عليها ، فإذا غَرَبَتْ غَرَبَتْ عليها ، فذلك أصفى ما يكون من الزيت . وقال مجاهد فى قوله تعالى : (لا شرقية ولا غربية) قال : ليست بشرقية لا تصيبها الشمس إذا غَرَبَتْ ، ولا غربيةٌ لا تصيبها الشمس إذا طَلَعَتْ ، ولكنها شرقية وغربية تصيبها إذا طَلَعَتْ وإذا غَرَبَتْ[1] .

وعن سعيد بن جبير فى قوله : (زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء) قال : هو أجود الزيت . قال : إذا طلعت الشمس أصابتها من صوب المشرق ، فإذا أخذت فى الغروب أصابتها الشمس ، فالشمس تصيبها بالغداة والعَشِىّ ، فتلك لا تُعَدُّ شرقيةً ولا غربيةً .

وقال السُّدِّىُّ : قوله (زيتونة لا شرقية ولا غربية) يقول ليست بشرقية يحوزها المشرق ولا غربية يحوزها المغرب دون المشرق ، ولكنها على رأس جبل أو فى صحراء تصيبها الشمس النهار كله . وقيل المراد بقوله تعالى (لا شرقية ولا غربية) أنها فى وسط الشجر

١ - « طَلَعَ » و « غَرَبَ » بابُهما « دَخَلَ » .

ليست بادية للمشرق ولا للمغرب . وقال أبوجعفر الرازى عن الربيع ابن أنس عن أبى العالية عن أُبَىٍّ بن كعب فى قول الله تعالى (زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال : هى خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على أى حال كانت ؛ لا إذا طلعت ولا إذا غربت . قال فكذلك هذا المؤمن قد أُجِيرَ من أن يصيبه شىء من الفتن ، وقد يُبتلى بها فيثبته الله فيها ، فهو بين أربع خلال ؛ إن قال صَدَقَ ، وإن حَكَمَ عَدَلَ ، وإن ابْتُلِىَ صَبَرَ ، وإن أُعطى شَكَرَ . فهو فى سائر الناس كالرجل الحىِّ يمشى فى قبور الأموات .

قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا مُسَدَّدٌ قال حدثنا أبوعوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله (زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال : هى وسط الشجر لا تصيبها الشمس شرقاً ولا غربًا . وقال عطية العوفىُّ (لا شرقية ولا غربية) قال : هى شجرة فى موضع من الشجر يُرَى ظِلُّ ثمرها فى ورقها ، وهذه من الشجر لا تطلع عليها الشمس ولا تغرب . وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبدالرحمن الدشتكى حدثنا عمرو بن أبى قيس عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (لا شرقية ولا غربية) ليست شرقية ليس فيها غرب ، ولا غربية ليس فيها شرق ، ولكنها شرقية غربية . وقال محمد بن كعب القرظى (لا شرقية ولا غربية) قال : هى القِبْلِيَّةُ . وقال زيد بن أسلم (لا شرقية ولا غربية) قال : الشامُ . وقال الحسن البصرى : لو كانت

هذه الشجرة فى الأرض لكانت شرقية أو غربية ، ولكنه مثل ضربه الله تعالى لنوره . وقال الضحاك عن ابن عباس (توقد من شجرة مباركة) قال رجل صالح . (زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال : لا يهودى ولا نصرانىّ .

وأولى هذه الأقوال القول الأول ؛ وهو أنها فى مستوى من الأرض فى مكان فسيح بادٍ ظاهر ضاحٍ للشمس تَقْرَعُهُ من أوّلِ النّهارِ إلى آخره ليكون ذلك أصفى لزيتها وألطف كما قال غير واحد ممن تقدم . ولهذا قال تعالى : (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار) . قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم يعنى إشراق الزيت .

وقوله تعالى : (نور على نور) قال العوفى عن ابن عباس يعنى بذلك إيمان العبد وعمله . وقال مجاهد والسُّدّىُّ : يعنى نور النار ونور الزيت . وقالَ أُبَىُّ بن كعب (نور على نور) فهو يتقلب فى خمسة من النور ؛ فكلامه نورٌ ، وعملهُ نورٌ ، ومَدْخَلُهُ نورٌ ، ومَخْرَجُهُ نورٌ ، ومصيرُه إلى نورٍ يوم القيامة ؛ إلى الجنة . وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال حَدِّثنى عن قول الله تعالى (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار) قال : يكاد محمد صلى الله عليه وسلم يَبِيْنُ ولو لم يتكلم أنه نبىّ كما يكاد ذلك الزيت أن يضىء . وقال السُّدىُّ فى قوله تعالى (نور على نور) قال : نور النار ونور الزيت حين اجتمعا ، أضاءا ولا يضىء واحد بغير صاحبه،

كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه .

وقوله تعالى : (**يهدى الله لنوره من يشاء**) أى يرشد الله إلى هدايته من يختاره . كما جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا إبراهيم بن محمد الفزارىّ حدثنا الأوزاعى حدثنى ربيعة بن يزيد عن عبدالله الديلمى عن عبدالله بن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ فِى ظُلْمَةٍ ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ فَمَنْ أَصَابَ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. (طريق أخرى عنه) قال البَزَّارُ حدثنا أيوب عن سويد عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن أبيه عن عبدالله بن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِى ظُلْمَةٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ نُوراً مِنْ نُورِهِ فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ » . ورواه البَزَّارُ عن عبدالله بن عمرو من طريق آخر بلفظه وحروفه .

وقوله تعالى : (**ويضربُ الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم**) لما ذكر الله تعالى هذا مثلا لنور هداه فى قلب المؤمن ختم الآية بقوله : (ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم) . إنما هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الإضلال . قال الإمام أحمد حدثنا أبوالنضر حدثنا أبومعاوية حدثنا شيبان عن ليث

عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «القلوبُ أربعةٌ : قلبٌ أجْرَدُ مثلُ السِّرَاجِ يَزْهَرُ ، وقلبٌ أغْلَفُ مَرْبُوطٌ على غِلافِهِ ، وقلبٌ مَنْكُوسٌ ، وقلبٌ مُصْفَحٌ . فأما القلبُ الأجْرَدُ فقلبُ المؤمنِ سراجُهُ فيه نوره ، وأمَّا القلبُ الأغْلَفُ فقلبُ الكافرِ ، وأمَّا القلبُ المنكوسُ فقلبُ المنافقِ ؛ عَرَفَ ثُمَّ أنْكَرَ ، وأمَّا القلبُ المُصْفَحُ فقلبٌ فيه إيمانٌ ونِفاقٌ ، ومثلُ الإيمانِ فيه كمثلِ البَقْلَةِ يَمُدُّهَا الماءُ الطيِّبُ ، ومثلُ النِّفاقِ فيه كمثلِ القُرْحَةِ يَمُدُّهَا الدَّمُ والقَيْحُ ، فأيُّ المدَّتينِ غَلَبَتْ على الأخرى غَلَبَتْ عليه» إسناده جيد ولم يخرجوه .

[المشركون بالله]

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

الروم ٢٨ ، ٢٩ .

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به العابدين معه غيره الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له ملك له كما كانوا يقولون : لبيك لا شريكَ لك إلا شريكًا هو لك تَمْلِكُهُ وما مَلَكْ . فقال تعالى : **(ضرب لكم مثلا من أنفسكم)** أى تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم . **(هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء)**؟ أى يرضى أحدكم أن يكون عبده شريكًا له فى ماله فهو وهو[1] فيه على السواء ؟ **(تخافونهم كخيفتكم أنفسكم)** أى تخافون أن يقاسموكم الأموال . قال أبو مجلز : إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك وليس له ذاك . كذلك الله لا شريك له . والمعنى أن أحدكم يأنف من ذلك فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه؟

---

١ ـ أى المالك والعبد .

وهذا كقوله تعالى : (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ)(١) . أى من البنات حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وجعلوها بنات الله . وقد كان أحدهم إذا بُشِّرَ بالأنثى (ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوْءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُوْنٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرَابِ)(٢) . فهم يأنفون من البنات ، وجعلوا الملائكة بنات الله فنسبوا إليه ما لا يرتضونه لأنفسهم . فهذا أغلظ الكفر . وهكذا فى المقام ؛ جعلوا له شركاء من عبيده ، وخلقه ، وأحدهم يأبى غاية الإباء ويأنف غاية الأنفة من ذلك ؛ أن يكون عبده شريكه فى ماله يساويه فيه ولو شاء لقاسمه عليه . تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

قال الطبرانى حدّثنا محمود بن الفرج الأصفهانى حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلى حدثنا حماد عن شعيب عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان يلبى أهل الشرك « لبيك اللَّهُمَّ لبيك ، لاَ شَرِيكَ لَكَ ، إلاَّ شَرِيكًا هُوَ لك ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكْ » فأنزل الله تعالى : **(هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم)؟** .

ولما كان التنبيه بمثل هذا المثل على براءته تعالى ونزاهته عن ذلك بطريق الأولى والأحرى قال تعالى : **(كذلك نفصل الآيات**

١ - النحل من الآية ٦٢ .

٢ - النحل من الآيتين ٥٨ ، ٥٩ .

لقوم يعقلون) . ثم قال تعالى مبينًا أن المشركين إنما عبدوا غيره سفهًا من أنفسهم وجهلاً : (**بل اتبع الذين ظلموا**) أى المشركين (**أهواءهم**) أى فى عبادتهم الأنداد بغير علم . (**فمن يهدى من أضل الله**) أى فلا أحد يهديهم إذا كتب الله ضلالهم . (**وما لهم من ناصرين**) أى ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير ولا محيد لهم عنه ، لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

[المؤمن والمشرك بالله]

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

الزمر ٢٧ : ٢٩ .

يقول تعالى : **(ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل)** أي بيّنّا للناس فيه بضرب الأمثال . **(لعلهم يتذكرون)** فإن المثل يُقَرِّبُ المعنى إلى الأذهان ، كما قال تبارك وتعالى (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ)[1] . أي تعلمونه من أنفسكم . وقال عز وجل : (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ)[2] .

وقوله جلَّ وعلا : **(قرآنًا عربيا غير ذي عوج)** أي هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لَبْس ، بل هو بيان ووضوح وبرهان . وإنما جعله الله تعالى كذلك ، وأنزله بذلك **(لعلهم يتقون)** أي يحذرون ما فيه من الوعيد ، ويعلمون بما فيه من الوعد.

---

١ ـ الروم من الآية ٢٨ .

٢ ـ العنكبوت ٤٣ .

ثم قـــال: (ضـرب الله مـثلاً رجـلا فـيه شـركاء متشاكسون) أى يتنازعون فى ذلك العبد المشترك بينهم . (ورجلا سلمًا) أى سالمًا . (لرجل) أى خالصًا لا يملكه أحد غيره . (هل يستويان مثلاً)؟ أى لا يستوى هذا وهذا . كذلك لا يستوى المشرك الذى يعبد آلهة مع الله ، والمؤمن المخلص الذى لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له . فأين هذا من هذا؟ .

قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وغير واحد : هذه الآية ضُربت مثلاً للمشرك والمخلص . ولما كان هذا المثل ظاهرًا بينًا جليًا قال : (الحمد لله) أى على إقامته الحجة عليهم . (بل أكثرهم لا يعلمون) أى فلهذا يشركون بالله .

[أصحاب القرية]

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾

يس ١٣ : ١٧ .

يقول تعالى واضرب يا محمد لقومك الذين كَذَّبُوك **(مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون)** . قال ابن إسحق بما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب الأحبار ووهب بن منبه أنها مدينة أنطاكية ، وكان بها ملك يقال له أنطيخس بن أنطيخس بن أنطيخس ، وكان يعبد الأصنام ، فبعث الله تعالى إليه ثلاثة من الرسل وهم : صادق وصدوق وشلوم . فكذبهم .

وهكذا رُوى عن بريدة بن الخصيب وعكرمة وقتادة والزهرى أنها أنطاكية . وقد استشكل بعض الأئمة كونها أنطاكية بما سنذكره بعد تمام القصة إن شاء الله تعالى .

وقوله تعالى : **(إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما)** أى بادروهما بالتكذيب . **(فعززنا بثالث)** أى قويناهما وشددنا أزرهما

برســول ثالث . قــال ابن جــريج عن وهب بن سليــمــان عن شــعـيب الجـبابى قال : كـان اسم الرسـولين الأولين شـمـعون ويوحنا ، واسم الثالث بولص ، والقرية أنطاكية . **(فقالوا)** أى لأهل تلك القرية **(إنا إليكم مرسلون)** أى من ربكم الذى خلقكم يأمركم بعبادته وحده لا شريك له . وقال أبوالعالية . وزعم قتادة بن دعامة أنهم كانوا رسل المسيح عليه السلام إلى أهل أنطاكية .

(قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا) أى فكيف أوحى إليكم وأنتم بشــر ونحن بشـر؟ فلِمَ لا أوحى إلينا مـثلكم؟ ولو كنتم رسـلاً لكنتم ملائكة . وهذه شبهة كثير من الأمم المُكَذِّبَة كما أخبر الله تعالى عنهم فى قـوله عـز وجل : (ذَلِكَ بِأَنَّه كَـانَتْ تَأْتِيـهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَـيِّنَاتِ فَـقَـالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا)[1]؟ أى اسـتـعـجـبـوا من ذلك وأنكروه . وقـوله تعـالى : (قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)[2] . وقوله تعـالى حكايةً عنهم فى قـوله جل وعلا : (وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ)[3] . وقـوله تـعـالى : (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً)[4]؟ . ولهـذا قـال هؤلاء : (مـا أنتم إلا بشـر مـثلنا ومـا

---

١ ـ التغابن من الآية ٦ .

٢ ـ إبراهيم من الآية ١٠ .

٣ ـ المؤمنون ٣٤ .

٤ ـ الإسراء ٩٤ .

أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون * قالوا ربُّنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) . أى إجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين : الله يعلم أنَّا رُسُلُهُ إليكم ، ولو كنّا كَذَبَةً عليه لانتقم منا أشد الانتقام ، ولكنه سَيُعِزُّنَا وينصرنا عليكم ، وستعلمون لمن تكون عاقبةُ الدار . كقوله تعالى : (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُم الخَاسِرُونَ)[1] .

(وما علينا إلا البلاغ المبين) يقولون إنما علينا أن نُبَلِّغَكُمْ ما أُرسلنا به إليكم فإذا أطعتم كانت لكم السعادة فى الدنيا والآخرى ، وإن لم تجيبوا فستعلمون غِبَّ ذلك[2] . والله أعلم .

قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

١٨ ، ١٩ .

فعند ذلك قال لهم أهل القرية (إنا تطيرنا بكم) أى لم نَرَ على وجوهكم خيراً فى عيشنا . وقال قتادة : يقولون إنْ أصابنا شر فإنما هو من أجلكم . وقال مجاهد : يقولون لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عُذِّبَ أهلُها .

---

١ ـ العنكبوت ٥٢ .

٢ ـ غِبّ ذلك : عاقبته وآخرته .

(لئن لم تنتهوا لنرجمنكم) قال قتادة : بالحجارة . وقال مجاهد : بالشتم . (وليمسنكم منا عذاب اليم) أى عقوبة شديدة . فقالت لهم رسلهم : (طائركم معكم) أى مردود عليكم . كقوله تعالى فى قوم فرعون : (فَإِذَا جَاءَتْهُم الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ)[1] . وقال قوم صالح : (اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ)[2] . وقال قتادة ووهب : أى أعمالكم معكم . وقال عز وجل : (وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِهَؤُلاَءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا)[3] .

وقوله تعالى : (أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون) أى من أجل أنَّا ذَكَّرْنَاكُمْ وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له قابلتمونا بهذا الكلام وتوعدتمونا وتهددتمونا بل أنتم قوم مسرفون . وقال قتادة أى إِنْ ذَكَّرْنَاكُمْ بِاللَّهِ تطَيَّرْتُمْ مِنَّا بل أنتم قوم مسرفون .

---

١ ـ الأعراف من الآية ١٣١ .

٢ ـ النمل من الآية ٤٧ .

٣ ـ النساء من الآية ٧٨ .

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) ﴾

. ٢٥ : ٢٠

قال ابن إسحق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب الأحبار ووهب بن منبه : إن أهل القرية هموا بقتل رسلهم فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى ؛ أى لينصرهم من قومه . قالوا : وهو حبيب وكان يعمل الحرير ؛ وهو الحباك ، وكان رجلاً سقيماً قد أسرع فيه الجُذَامُ . وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه ، مستقيم الفطرة(١) .

وقال ابن إسحق عن رجل سماه عن الحكم عن مقسم أو عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : اسم صاحب يس حبيب ، وكان الجُذام قد أسرع فيه . وقال الثورى عن عاصم الأحول

---

١ - فى بعض النسخ : « النظرة » .

عن أبى مجلز : كان اسمه حبيب بن مرى . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : اسم صاحب يس حبيب النجار فقتله قومه . وقال السدى : كان قَصَّارًا[1] . وقال عمر بن الحكم : كان إسكافًا[2] . وقال قتادة : كان يتعبد فى غار هناك .

(قال يا قوم اتبعوا المرسلين) يحضُّ قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم . **(اتبعوا من لا يسألكم أجرًا)** أى على إبلاغ الرسالة . **(وهم مهتدون)** فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له . **(وما لى لا أعبد الذى فطرنى)**؟ أى وما يمنعنى من إخلاص العبادة للذى خلقنى وحده لا شريك له؟ **(وإليه ترجعون)** أى يوم المعاد فيجازيكم على أعمالكم إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر . **(أأتخذ من دونه آلهة)**؟ استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع . **(إن يردنى الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئًا ولا ينقذون)** أى هذه الآلهة التى تعبدونها من دونه لا يملكون من الأمر شيئًا فإن الله تعالى لو أرادنى بسوء (فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ)(٣) . وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه ولا ينقذوننى مما أنا فيه . **(إنى إذا لفى ضلال مبين)** أى إن اتخذتها آلهة من دون الله .

---

١ ـ القَصَّار : المُبَيِّضُ للثياب .

٢ ـ الإسكاف : صانع الأحذية ومُصْلِحُها .

٣ ـ الأنعام من الآية ١٧ ويونس من الآية ١٠٧ .

وقوله تعالى : (إنى آمنت بربكم فاسمعون) قال ابن إسحق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب ووهب : يقول لقومه : (إنى آمنت بربكم) الذى كفرتم به . (فاسمعون) أى فاسمعوا قولى . ويحتمل أن يكون خطابه للرسل بقوله (إنى آمنت بربكم) أى الذى أرسلكم . (فاسمعون) أى فاشهدوا لى بذلك عنده . وقد حكاه ابن جرير فقال : وقال آخرون بل خاطب بذلك الرسل وقال لهم اسمعوا قولى لتشهدوا لى بما أقول لكم عند ربى ، إنى آمنت بربكم ، واتبعتكم . وهذا القول الذى حكاه عن هؤلاء أظهر فى المعنى . والله أعلم .

قال ابن إسحق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب ووهب رضى الله عنهما : فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ، ولم يكن له أحد يمنع عنه . وقال قتادة : جعلوا يرجمونه بالحجارة وهو يقول : «اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ» . فلم يزالوا به حتى أقعصوه وهو يقول ذلك ، فقتلوه رحمه الله .

قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾

٢٦ : ٢٩ .

قال محمد بن إسحق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود رضى الله عنه إنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قَصُّه[1] من دبره . وقال الله له (ادخل الجنَّة) فدخلها ؛ فهو يرزق فيها ، قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها .

وقال مجاهد : قيل لحبيب النجار ادخل الجنة ؛ وذلك أنه قُتل فوجبت له ، فلما رأى الثواب **(قال يا ليت قومى يعلمون)** . قال قتادة : لا تلقى المؤمن إلا ناصحًا ، لا تلقاه غاشًا ؛ لَمَّا عاينَ ما عاين من كرامة الله تعالى (قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) تمنى واللهِ أن يَعلَمَ قومُه بما عاين من كرامة الله وما هجم عليه . وقال ابن عباس : نصح قومه فى حياته بقوله (ياقوم اتبعوا المرسلين) وبعد مماته فى قوله (يا ليت قومى يعلمون * بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) . رواه ابن أبى حاتم .

وقال سفيان الثورى عن عاصم الأحول عن أبى مجلز (بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) بإيمانى بربى وتصديقى المرسلين . ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل لى من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل ، فرحمه الله ورضى عنه ، فلقد كان حريصًا على هداية قومه .

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا

---

١ - القَصُّ : عَظْمُ الصدر المغروز فيه أطراف الأضلاع من الجانبيْن . وفى المختار: رأسُ الصدر .

ابن جابر - هو محمد - عن عبدالملك - يعنى ابن عمير - قال : قال عروة بن مسعود الثقفى رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم ابعثنى إلى قومى أدعوهم إلى الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّى أَخَافُ أَنْ يَقْتُلُوكَ» . فقال : لو وجدونى نائماً ما أيقظونى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «انْطَلِقْ» . فانطلق ،فمر على اللاّت والعُزّى ، فقال لأُصَبِّحنَّكَ غداً بما يسوءك . فغضبت ثقيف . فقال : يا معشر ثقيف ، إن اللاّت لا لات ، وإن العُزّى لا عُزّى ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا ، يا معشر الأحلاف ، إن العُزّى لا عُزّى ، وإنَّ اللاّت لا لات ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا . قال ذلك ثلاث مرات . فرماه رجل فأصاب أَكْحَلَهُ[1] فقتله . فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هَذَا مَثَلُهُ كَمَثَلِ صَاحِبِ يس ؛ (قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين).» .

وقال محمد بن إسحق عن عبدالله بن عبدالرحمن بن معمر بن حزم أنه حدث عن كعب الأحبار أنه ذُكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بنى مازن بن النجار الذى كان مسيلمة الكذاب قَطَّعَهُ باليمامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول نعم . ثم يقول : أتشهد أنى رسول الله؟ فيقول : لا أسمع . فيقول مسيلمة لعنه الله : أتسمع هذا ولا تسمع ذاك؟ فيقول : نعم . فجعل يقطعه عضواً عضواً ، كلما

١ - الأكحل : عِرْقٌ فى اليد .

سأله لم يزده عن ذلك ، حتى مات فى يديه . فقال كعب حين قيل له اسمه حبيب : وكان واللهِ صاحب يس اسمه حبيب .

وقوله تبارك وتعالى : **(وما أنزلنا على قومه من جند من السماء وما كنا منزلين)** أى ما كاثرناهم بالجموع ؛ الأمر كان أيسر علينا من ذلك . **(إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون)** قال : فأهلك الله تعالى ذلك الملك ، وأهلك أهل أنطاكية ، فبادوا عن وجه الأرض ، فلم يبق منهم باقية . وقيل (وما كنا منزلين) : أى وما كنا ننزل الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم ، بل نبعث عليهم عذابًا يدمرهم . وقيل : المعنى فى قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) أى من رسالة أخرى إليهم . قاله مجاهد وقتادة . قال قتادة : فلا واللهِ ما عاتب اللهُ قومَه بعد قتله (إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون) . قال ابن جرير : والأول أصح ؛ لأن الرسالة لا تسمى جندًا .

قال المفسرون : بعث الله تعالى إليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فأخذ بعضادتى باب بلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون عن آخرهم لم تبق بهم روح تتردد فى جسد . وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هى أنطاكية ، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلاً من عند المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كما نص عليه قتادة وغيره . وهو الذى لم يُذكر عن واحد من متأخرى

المفسرين غيره[1] . وفي ذلك نظر من وجوه : (أحدها) أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل لا من جهة المسيح كما قال تعالى : (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون) . إلى أن قالوا (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون * وما علينا إلا البلاغ المبين) . ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام ، والله تعالى أعلم . ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم (إن أنتم إلا بشر مثلنا) .

(الثاني) أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم ، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بتاركة ، وهن : القدس ؛ لأنها بلد المسيح . وأنطاكية ؛ لأنها أول بلد آمنت بالمسيح عن آخر أهلها ، والإسكندرية ؛ لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البتاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة والشمامسة والرهابين . ثم رومية ؛ لأنها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر دينهم وأوطده ، ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا البترك من رومية إليها كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين . فإذا تقرر أن

---

١ - لعله يعني قتادة . وهو ابن دعامة فهو أقرب مذكور ، وقد نقل عنه من قبل عند تفسير قوله تعالى (إنا إليكم مرسلون) - زعمه بأن هؤلاء الرسل هم رسل المسيح عليه السلام إلى أهل أنطاكية .

أنطاكية أول مدينة آمنت فأهل هذه القرية ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم والله أعلم .

(الثالث) أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة ، وقد ذكر أبوسعيد الخدرى رضى الله عنه وغير واحد من السلف أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة لم يُهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم ،بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين . ذكروا عند قوله تبارك وتعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولَى)[1] . فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة فى القرآن قرية أخرى غير أنطاكية كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضًا . أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظًا فى هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة ؛ فإن هذه لم يُعرف أنها أُهلكت ؛ لا فى الملة النصرانية ، ولا قبل ذلك . والله سبحانه وتعالى أعلم .

فأما الحديث الذى رواه الحافظ أبوالقاسم الطبرانى حدثنا الحسين بن إسحق التسترى حدثنا الحسين بن أبى السرى العسقلانى حدثنا حسين الأشقر حدثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « السبقُ ثلاثةٌ ؛ فالسَّابِقُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام يُوشَعُ بنُ نُون ، والسَّابِقُ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلام

---
١ ـ القصص من الآية ٤٣ .

صَاحِبُ يَس ، والسَّابِقُ إلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَلِيُّ بن أبى طالبٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ» . فإنه حديث منكر لا يُعرف إلا من طريق حسين الأشقر . وهو شيعى متروك . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

[الذين حُمِّلُوا التوراة ثم لم يحملوها]

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾

الجمعة ٥ .

يقول تعالى ذَامًّا لليهود الذين أعطوا التوراة وحُمِّلُوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها ، مثلهم فى ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارًا ؛ أى كمثل الحمار إذا حمل كتبًا لا يدرى ما فيها ، فهو يحملها حملاً حسيًا ولا يدرى ما عليه ، وكذلك هؤلاء فى حملهم الكتاب الذى أوتوه . حفظوه لفظًا ولم يتفهموه ، ولا عملوا بمقتضاه بل أوَّلُوه وَحَرَّفُوه وبَدَّلُوه . فهم أسوأ حالاً من الحمير ؛ لأن الحمار لا فهم له ، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها . ولهذا قال تعالى فى الآية الأخرى : (أُولَٰئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)[1] . وقال تعالى ههنا : **(بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين)** .

وقال الإمام أحمد رحمه الله حَدَّثنا ابن نمير عن مجالد عن الشعبى عنْ ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَهُوَ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا وَالَّذى يَقُولُ لَهُ أَنْصِتْ لَيْسَ لَهُ جُمُعَةٌ» .

١ ـ الأعراف من الآية ١٧٩ .

[أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم]

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ
رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ
سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ
وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ
فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

الفتح ٢٩ .

يُخبر تعالى عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه رسوله حقًا بلا شك ولا ريب فقال : (محمد رسول الله) وهذا مبتدأ وخبر ، وهو مشتمل على كل وصف جميل . ثم ثَنَّى بالثناء على أصحابه رضى الله عنهم فقال : (والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) . كما قال عز وجل : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)[1] . وهذه صفة المؤمنين ؛ أن يكون أحدهم شديدًا عنيفًا على الكفار ، رحيمًا برًا بالأخيار ، غَضُوبًا عبوسًا فى وجه الكافر ، ضَحُوكًا بشوشًا فى وجه أخيه المؤمن كما قال تعالى : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

---

١ ـ المائدة من الآية ٥٤ .

(وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً)[1] . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى والسَّهَرِ» . وقال صلى الله عليه وسلم : «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» . وشَبَّكَ صلى الله عليه وسلم بين أصابعه . كِلا الحديثين فى الصحيح .

وقوله سبحانه وتعالى : (**تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً مِنَ اللّهِ ورِضْوَانًا**) وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهى خير الأعمال ، ووصفهم بالإخلاص فيها لله عز وجل والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب ؛ وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز وجل وهو سعة الرزق عليهم ، ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأول كما قال جل وعلا : (وَرِضْوَانٌ مِنَ اللّهِ أَكْبَرُ)[2] .

وقوله جل جلاله : (**سيماهم فى وجوههم من أثر السجود**) قال علىُّ بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما : سيماهم فى وجوههم يعنى السمت الحسن . وقال مجاهد وغير واحد : يعنى الخشوع والتواضع . وقال ابن أبى حاتم حَدَّثَنَا أبى حَدَّثَنَا علىُّ بن محمد الطنافسى حدثنا حسين الجعفى عن زائدة عن منصور عن مجاهد : (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) قال الخشوع . قلت : ما كنت أراه إلا هذا الأثر فى الوجه . فقال : ربما كان بين

١ - التوبة من الآية ١٢٣ .

٢ - التوبة من الآية ٧٢ .

عينى من هو أقسى قلباً من فرعون . وقال السُّدِّىُّ : الصلاة تحسن وجوههم . وقال بعض السلف : من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار . وقد أسنده ابن ماجة فى سننه عن إسماعيل بن محمد الصالحى عن ثابت بن موسى عن شريك عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه « مَنْ كَثُرَتْ صَلاَتُهُ بِاللَّيلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ » . والصحيح أنه موقوف .

وقال بعضهم : إن للحسنة نورًا فى القلب وضياء فى الوجه وسعة فى الرزق ومحبة فى قلوب الناس . وقال أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه : ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه . والغرض أن الشىء الكامن فى النفس يظهر على صفحات الوجه ؛ فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس . كما رُوِى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته . وقال أبوالقاسم الطبرانى حدثنا محمود بن محمد المروزى حدثنا حامد بن آدم المروزى حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عبيد الله العرزمى عن سلمة بن كهيل عن جندب بن سفيان البجلى رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما أَسَرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إلاَّ أَلْبَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى رِداءَها إنْ خَيْرًا فَخَيْر ، وإن شَرًا فَشَر» . العرزمى متروك .

وقال الإمام أحمد حدّثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة

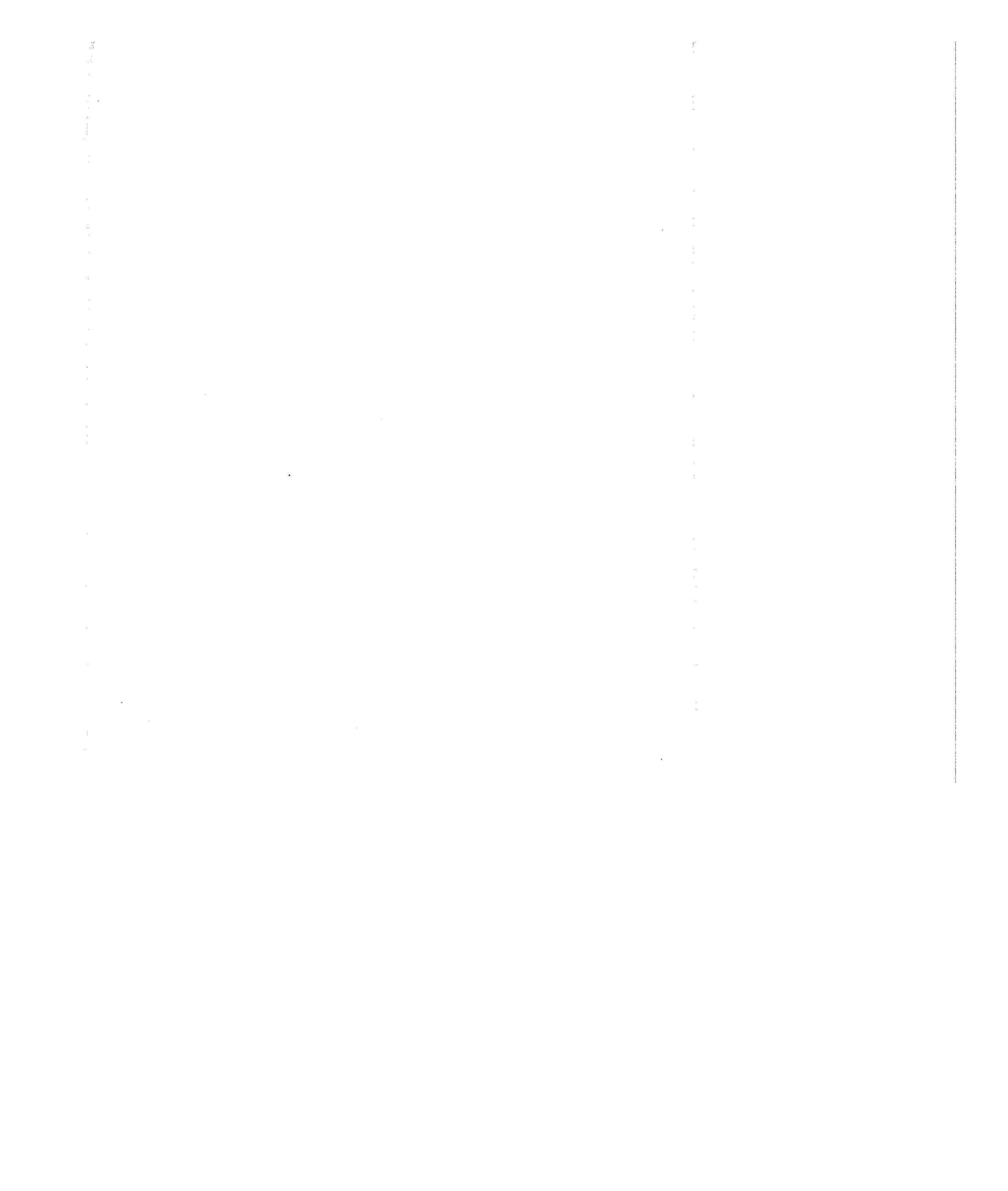
حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لَوْ أنَّ أحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِى صَخْرَةٍ صَمَّاءَ لَيْسَ لَهَا بَابٌ وَلا كُوَّةٌ لَخَرَجَ عَمَلُهُ لِلنَّاسِ كَائِنًا ما كانَ » . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حَدَّثنا زهير حدثنا قابوس بن أبى ظبيان أن أباه حَدَّثه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنَّ الهدى الصالحَ والسَّمْتَ الصَّالِحَ والاقْتِصادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ» . ورواه أبوداود عن عبدالله بن محمد النفيلى عن زهير به . فالصحابة رضى الله عنهم خلصت نياتهم ، وحسنت أعمالهم ، فكل من نظر إليهم أعجبوه فى سمتهم وهديهم . وقال مالك رضى الله عنه : بلغنى أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضى الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خيرٌ من الحواريين فيما بلغنا . وصدقوا فى ذلك ؛ فإن هذه الأمة مُعَظَّمَةٌ فى الكتب المتقدمة ، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نَوَّهَ الله تبارك وتعالى بذكرهم فى الكتب المنزلة والأخبار المتداولة . ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا : **(ذلك مثلهم فى التوراة)** . ثم قال : **(ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه)** أى فراخه **(فآزره)** أى شدَّه . **(فاستغلظ)** أى شَبَّ وطال . **(فاستوى على سوقه يعجب الزراع)** أى كذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ آزروه ، وأيدوه ، ونصروه . فهم معه كالشطء مع الزرع **(ليغيظ**

بهم الكفار) .

ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه فى رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضى الله عنهم . قال لأنهم يُغيظونهم ، ومن غاظ الصحابة رضى الله عنهم فهو كافر لهذه الآية . ووافقه طائفة من العلماء رضى الله عنهم على ذلك .

والأحاديث فى فضل الصحابة رضى الله عنهم والنهى عن التعرض لهم بمساويهم كثيرة . ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم

ثم قال تبارك وتعالى : (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) . " مِنْ " هذه لبيان الجنس . (مغفرة) أى لذنوبهم . (وأجرًا عظيمًا) أى ثوابًا جزيلاً ورزقًا كريمًا . ووعد الله حق وصدق ، لا يُخْلَفُ ولا يُبَدَّلُ ، وكلُّ مَنْ اقتفى أثر الصحابة رضى الله عنهم فهو فى حكمهم . ولهم الفضل والسبق والكمال الذى لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضى الله عنهم وأرضاهم ، وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل . قال مسلم فى صحيحه حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبومعاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَسُبُّوا أَصْحَابِى ، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ » .



فهارس الكتاب

- فهرس الأشخاص والقبائل والبلدان
- فهرس الآيات والأمثال القرآنية
- فهرس الحديث والآثار النبوية
- فهرس الأشعار
- فهرس المصادر والمراجع
- المحتوى أو فهرس الموضوعات

فهرس الأشخاص والقبائل والبلدان

ش

ص

ض

ط

ع

و

ى

فهرس الآيات القرآنية (*)

(*) وهو يشتمل على الأمثال المضروبة والآيات التى ذكرها ابن كثير عند تفسيره لهذه الأمثال وقد اكتفينا بالإشارة إلى اسم السورة ورقم الآية فيها استغناءً بذلك عن لفظها ، ورتبناها على هذا الأساس .

ملحوظة : ١ ـ قد تتكرر بعض أجزاء المثل المضروب عند تفسير المصنف له ، لذا فقد اكتفينا بالموضع الذى وردت فيه مع باقى الأجزاء للمرة الأولى كاملة ، وهو ما وضعناه داخل الصفحات فى شكل مستطيل .

٢ ـ الرمز (هـ) يشير إلى الهامش .

فهرس الحديث والآثار النبوية

فهرس الأشعار

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ أساس البلاغة ـ أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشرى ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣م .

٢ ـ الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ـ الحافظ أبوعمر يوسف بن عبدالله المعروف بابن عبدالبر ـ حيدر أباد ١٣١٨هـ .

٣ ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة ـ عزالدين أبوالحسن على بن محمد المعروف بابن الأثير ـ ت . محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ـ كتاب الشعب ـ القاهرة سنة ١٩٧٠م .

٤ ـ الإصابة فى تمييز الصحابة ـ شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن على العسقلانى المعروف بابن حجر ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة سنة ١٣٥٨هـ ١٩٣٩م

٥ ـ إعجاز القرآن ـ أبوبكر محمد بن الطيب الباقلانى ـ ت . السيد أحمد صقر ـ دار المعارف ـ القاهرة سنة ١٩٥٤م .

٦ ـ الأعلام ـ خير الدين الزركلى ـ ط٣ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت سنة ١٩٦٩م .

٧ ـ الأمثال ـ أبوعبيد القاسم بن سلام ـ ت. د. عبدالمجيد قطامش ـ ط١ ـ دار المأمون للتراث ـ القاهرة سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

٨ ـ الأمثال ـ أبوفيد مؤرج بن عمرو بن الحرث السدوسى ـ ت. د. رمضان عبدالتواب ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ القاهرة ـ سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

٩ ـ أنساب الأشراف ـ أبوالحسن (أو أبوالعباس) أحمد بن يحيى

البلاذرى - ت . محمد حميدالله - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٩م .
١٠ - البداية والنهاية - الحافظ عماد الدين أبوالفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى - ط٤ - مكتبة المعارف - بيروت سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
١١ - تاج العروس - محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدى - ط١ - المطبعة الخيرية بالجمالية - القاهرة سنة ١٣٠٦هـ.
١٢ - تاريخ الأدب العربى - كارل بروكلمان - ترجمة د. عبدالحليم النجار - ط٥ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٣م .
١٣ - تاريخ التراث العربى - فؤاد سزكين - ترجمة د. محمد فهمى حجازى - إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .
١٤ - تاريخ الرسل والملوك - أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى ت. د. محمد أبوالفضل إبراهيم - ط٤ - دار المعارف - القاهرة - سنة ١٩٧٩م .
١٥ - تأويل مشكل القرآن - أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة - ت . السيد أحمد صقر - ط١ - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٩٥٤م .
١٦ - تحقيق النصوص ونشرها - د. عبدالسلام محمد هارون - ط١ - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٥٤م .
١٧ - التشبيهات - أبوإسحق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن أبى عون - ت . عبدالمعين خالد - كامبريدج سنة ١٩٥٠م .

١٨ ـ تفسير غريب القرآن ـ أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ـ ت . السيد أحمد صقر ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة سنة ١٩٥٨م .

١٩ ـ تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ عماد الدين أبوالفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقى ـ طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة سنة ١٩٥٢م ، وطبعة مكتبة دار التراث ـ القاهرة بدون تاريخ .

٢٠ ـ تفسير الكشاف ـ أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشرى ـ ط١ ـ مطبعة مصطفى محمد ـ القاهرة سنة ١٣٥٤هـ .

٢١ ـ جامع الأصول فى أحاديث الرسول ـ مجدالدين بن الأثير ـ مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة سنة ١٩٥٠م .

٢٢ ـ جامع البيان فى تفسير القرآن (تفسير الطبرى) ـ أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى ـ طبعة بولاق سنة ١٣٢٥هـ .

٢٣ ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) ـ أبوعبدالله محمد بن أحمد القرطبى ـ ط١ ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٣٣ ـ ١٩٤٩م .

٢٤ ـ جمهرة الأمثال ـ أبوهلال الحسن بن عبدالله العسكرى ـ ت . د. محمد أبوالفضل إبراهيم ، د. عبدالحميد قطامش ـ ط١ ـ المؤسسة العربية الحديثة ـ القاهرة سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م

٢٥ ـ جمهرة أنساب العرب ـ أبومحمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى ـ ت . إ . ليفى بروفنسال ـ دار المعارف ـ القاهرة سنة ١٩٤٨م .

٢٦ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ أبونعيم أحمد بن عبدالله

الأصفهانى - مطبعة السعادة - القاهرة سنة ١٩٣٣م .
٢٧ - الدر المنثور فى التفسير بالمأثور (تفسير السيوطى) - جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى - المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٤هـ .
٢٨ - ديوان المعانى - أبوهلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكرى - المقدسى - القاهرة سنة ١٩٥٢م .
٢٩ - روح المعانى (تفسير الألوسى) - أبوالفضل شهاب الدين السيد محمود شكرى الألوسى البغدادى - المنيرية بمصر - بدون تاريخ.
٣٠ - الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية - أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلى - (ومعه كتاب السيرة النبوية لابن هشام - ضبط طه عبدالرءوف سعد) - مؤسسة مختار للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٣٩١هـ ١٩٧١م .
٣١ - زهر الآداب - أبوإسحق إبراهيم بن على الحصرى - نشر بعناية د. زكى مبارك - الرحمانية - القاهرة سنة ١٩٢٥م .
٣٢ - زهر الأكم فى الأمثال والحكم - الحسن اليوسى - ت . د. محمد صبحى ، د. محمد الخضر - دار الثقافة - الدار البيضاء سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م .
٣٣ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشىء من فقهها وفوائدها - محمد ناصر الدين الألبانى - ط٤ - المكتب الإسلامي - بيروت سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .
٣٤ - الصحاح - أبونصر إسماعيل بن حماد الجوهرى - ت . أحمد

عبدالغفور عطا - دار الكتاب العربى - القاهرة سنة ١٩٥٦م .
٣٥ - صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى - المطبعة المصرية ومكتبتها - القاهرة سنة ١٣٤٩هـ .
٣٦ - الصناعتين - أبوهلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكرى - المطبعة التجارية - القاهرة سنة ١٩٥٢م .
٣٧ - الطبقات الكبرى - أبوعبدالله محمد بن سعد - دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
٣٨ - العقد الفريد - أبوعمر أحمد بن محمد بن عبدربه - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م .
٣٩ - العمدة فى صناعة الشعر ونقده - أبوعلى الحسن بن رشيق القيروانى - ت . محمد محيى الدين عبدالحميد - ط١ - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة سنة ١٩٥٧م .
٤٠ - عيون الأخبار - أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٢٥ - ١٩٣٠م .
٤١ - فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال - أبوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكرى - ت. د. عبدالمجيد عابدين ، د. إحسان عباس - دار الأمانة - بيروت سنة ١٣٩١هـ ١٩٧١م .
٤٢ - الفهرست - أبوالفرج محمد بن إسحق المعروف بابن النديم - نشر فلوجل - ليبزج سنة ١٨٧٢م .
٤٣ - القصاص والمذكرون - أبوالفرج عبدالرحمن بن الجوزى - ت. د. محمد لطفى الصباغ - ط١ - المكتب الإسلامى - بيروت سنة

١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .
٤٤ - الكامل فى اللغة والأدب - أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد - ت. د. محمد أبوالفضل إبراهيم والسيد شحاتة - دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة - بدون تاريخ .
٤٥ - لسان العرب - أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصرى - ت. عبدالله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلى - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٩م .
٤٦ - متن البخارى بحاشية السندى - أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخارى - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - بدون تاريخ .
٤٧ - المثل السائر - ضياء الدين أبوالفتح نصرالله بن محمد المعروف بابن الأثير - مطبعة حجازى - القاهرة ١٩٣٥م .
٤٨ - مجاز القرآن - أبوعبيدة معمر بن المثنى - ت. محمد فؤاد سزكين - القاهرة سنة ١٩٥٤ - ١٩٦٢م .
٤٩ - مجمع الأمثال - أبوالفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى المعروف بالميدانى - ت. د. محمد أبوالفضل إبراهيم - ط٢ - دار الجيل - بيروت سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .
٥٠ - المستقصى فى أمثال العرب - أبوالقاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشرى - ط٢ - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م .
٥١ - معانى القرآن - أبوزكريا يحيى بن زياد الفراء - ت. نجاتى والنجار - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٥٥م .

٥٢ ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب ـ شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ابن محمد المعروف بالنويرى ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

فهرس الموضوعات